6 me Année, No . 244

Lundi - 7 - 3 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة



مـ

٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٢٤٤ « القاهرة فى يوم الاثنين ٥ محرم سنة ١٣٥٧ — ٧ مارس سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

فى حفلة أدبيـــة !

أدبت السيدة إيمى خير مأدبة لرجال الأدب ونسائه ، كانت على رأى من شهدوها مظهراً لذلك الأدب النَّغِل الذى يعييك أن تعزوه إلى وطن وتنسبه إلى أمة

تفرنس فيها المدعوون حتى حماة اللغة والأدب ! بعضهم ملكته الحذلقة فاستكثر ظرفه وعلمه على اللغة العربية ، وبعضهم غلبته المجاملة فخاطب الأديبات بلغتهن ولغتهن الفضلى هى الفرنسية . وكان الذين يتعصبون للعربية أو يتأدبون بالانجليزية قلالاً قد انتثروا فى غمار الحفل أول ما دخلوا ؛ فلما أنكروا اللسان المتحدث بين القوم تراجعوا متزايلين مستوحشين إلى هامشه ثم طفقوا ينظرون بعين المتفرج المتعجب إلى جمعى المذكر والمؤنث وهما يضطربان فى الأبهاء والحجر على غير قياس :

هذا يمثل الباريسى اللبق فيسلك طريقته فى السلام ، ويتخذ لهجته فى الكلام ، ويسمت سَمْتَه فى التظرف ؛ وهذه تمثل إحدى (عالمات) موليير فتتصنع المعرفة ، وتتكلف الذكاء ، وتقدِّر نفسها بالقياس الطويل والوزن الثقيل فيمالق الذكى ويصدق الأبله ؛ وهذان يتضاحكان لحركة لاحظاها أو نكتة قالاها ، ثم يكتكتان فى الضحك ليلفتا إليهما السمع المشغول والنظر الغافل ؛ وهاتان تتحدثان ووجهاهما متقابلان ، ونظراهما متدابران ، وكل

منهما تبحث ذات اليمين وذات الشمال عن محدث أو معجَب ؛ وهؤلاء يتناقشون فى موضوع غريب بلسان غريب لم يوحه الوطن الذى نحيا به ، ولا المجتمع الذى نضطرب فيه ، ولا الأدب الذى نعيش له ، وإنما أوحاه رأى فى كتاب أو مقال فى صحيفة جاء به البريد الأخير من البلد الذى استوطنوه بالفكر واستقبلوه بالعبادة !

حدثنى أحد الذين دُعوا إلى هذه المأدبة وهو أديب ظريف لا يعرف لغة هذا الصالون قال : كنت جالساً وراء القوم كأننى أحد (أولاد البلد) فى دار من دور السينما يشاهد فلماً فرنسيًا ، فهو يرى ولا يعلم ، ويسمع ولا يفهم ، ولكنه مأخوذ بالمناظر التمثيلية التى تتقلّب على عينيه فيغيب وهو حاضر ، ويحلم وهو يقظ . فإذا خشيت أن يلحظ الناس انقباضى عنهم بطول القعود قمت أتنقل بين المثنيات والجموع ، فأجدنى أشبه بالأطرش فى الزفة ، يرى الوجوه تنبلج ، والشفاه تنفرج ، والأيدى تتحرك ، وهو شاخص البصر ، مفغور الفم ، لا يدرى ما الذى يشيع السرور ويبعث الضحك .

ثم جلستُ على مقربة من الأستاذ المازنى فرأيت ربة الدار تقبل عليه وتقدم إليه سيدة يقولون إنها من الأديبات النوابه . عرّفت إليها الأستاذ ونوهت بأثره فى الأدب ومكانه من النهضة ، ثم تركتهما معاً وذهبت إلى غيرهما . وانتظر الأستاذ أن تتحدث إليه السيدة الأديبة فى قصة من قصصه أو فى رأى من آرائه ، فيكون فى ذلك بعض الترضية للأدب العربى المهان فى بلده وبين قومه ؛ ولكن السيدة الأديبة بدأت الحديث بهذا السؤال :

حضرتك من مصر ولاّ من الشام ؟

ولا أدرى أألقت على المازنى كلاماً فيه معنى أم ذَنوباً فيه ماء ؟! فقد تخلص منها بلباقة وأقبل علينا يقول :

— وا ضيعتاه ! أبعد ثلاثين عاماً قضيتها فى الأدب أكتب فى كل يوم مقالاً ، وألقى فى كل أسبوع محاضرة ، وأخرج فى كل سنة كتاباً ، أجد فى المتعلمات بالقاهرة من تسأل : أمن الشام أنا أم من مصر ؟!

* * *

هذه حفلة أقامتها صاحبتها الأديبة لصحابتها الأدباء ، وقد رأيت وسمعت كيف كان حرص أدبائنا على اللغة ، وإلى أين بلغ علم أديباتنا بالأدب . فهل تصدق أن يكون لهؤلاء أدب مستقل وهم ينكرون أن لهم لغة مستقلة ؟ لا جرم أن هذا النوع من الأدب الحرام يزيف الأديب على أمته كما يزيفه على الأمم الأخرى . وإذا جاز لأولئك السيدات الأديبات أن يلغَين بغير لغتهن ، بحكم نشأتهن وطبيعة ثقافتهن ، فكيف يجوز لأساتذة اللغة وزعماء الأدب أن يديروا فى أفواههم ذلك اللسان الأجنبى وما كانت قيمتهم فى الناس ودعوتهم إلى هذا الحفل إلا لأنهم يحذقون اللغة العربية ، ويتزعمون الثقافة العربية ؟!

إن من هوان نفسك عليك وإهانة جنسك فى الناس أن تتكلم غير لغتك فى بلدك وبين قومك من غير ضرورة ولا مناسبة ؛ فإن ذلك إن دل على شىء فإنما يدل على عدم استقلالك فى خليقتك وعقيدتك ونمط تفكيرك وأسلوب عملك

هل تستطيع أن تدلنى على بقعة من بقاع الأرض غير مصر ولبنان يجتمع فى دور من دورها مجلس من مجالس الأدب يحضره لفيف من أساتذة الجامعة وجهابذة الأدب وأقطاب الصحافة ، ثم لا يكون حديثهم إلا بالفرنسية ، ولا يدور نقاشهم إلا على موضوعات أجنبية ؟؟

يا قومنا إن لغة المرء تاريخه وذاته ، فالغض منها غض منه ، والتفضيل عليها تفضيل عليه ، ولا يرضى لنفسه الضعة والصَّغار إلا مهين أو عاجز !

احمد حسن الزيات

تحية شوبنهور

للأستاذ عباس محمود العقاد

— ٢ —

ختمنا مقالنا السابق واعدين أن « نطابق فى مقال آخر بين سيرة الرجل وفلسفته ، وبين العرض والجوهر فى هذه المطابقة »

وإنما رأينا ضرورة هذه المطابقة لأننا اعتقدنا أن كثيراً من القراء سيلمحون جانباً من التناقض الكبير بين دعوة الرجل وسيرته فى حياته : بين رجل يزدرى الحياة ويستمتع بلذاتها ، ورجل يقتفى مذهب الزهد وهو يحرص على المال ، ورجل يهرب من الوباء وهو يبشر « بالنرفانا » والفناء ، ورجل عبوس الرأي مشرق الفكاهة

فمن المفيد ولا ريب أن نبين وجهة النظر التى تتجه إليها فى تعليل ذلك التناقض ، وأن نشرح التوافق الباطن فى هذا التناقض الظاهر ، وأن نقول إن مذهب الحرص ومذهب التشاؤم كلاهما يصدر عن منبع واحد ، فلا اختلاف هناك ولا غرابة من وراء الحجاب ، وإن بدا لنا الأمر على ظاهره مختلفاً جد الاختلاف مستغرباً جد الغرابة

كان شوبنهور إمام المتشائمين الساخطين على الحياة المستريبين بالناس ، المتوجسين من ضمائر الغيب

كان لا يسلم وجهه قط إلى حلاق مخافة أن يذبحه أو يجرحه ، وكان يغلق الأقفال على أدوات تدخينه مخافة أن تمزج بالسموم ، وكان ينام وإلى جانبه مسدساته محشوة مهيأة للإطلاق ، وكان لا يطيق معاشرة الناس ولا سماع الأصوات ، وكان يقول إن الحياة نقمة لا تحمد ومحنة لا تطاق

كان كذلك وكان يخاف الموت ويهرب من الطاعون ، فكيف يكون التوفيق بين هذا الفزع من الموت وذلك التشاؤم بالحياة ؟

هما فى الحقيقة شيء واحد !

فالمتشائم لا يتشاءم إلا لأنه شديد الإحساس بالخطر ، شديد الغلو والاغراق فى هذا الإحساس ؛ وليس مقتضى ذلك أن يطمئن إلى الأوبئة والأمراض ويركن إلى السرائر والنيات كما يلوح فى بادئ الرأى ، بل مقتضاه أن يفزع من النذير إذا كان غيره لا يفزع من الحقيقة الواقعة ، وأن يكتفى بالإيماء إذا كان غيره لا يكتفى إلا بالصيحة العالية ، وأن يهرب من الطاعون قبل أن يهرب منه المستريحون المطمئنون إلى العيش الواثقون بالمصير

وكان شوبنهور يبغض الحياة ويستمتع بلذاتها ، فكيف يكون التوفيق بين البغضاء والاستمتاع ؟

هما كذلك شيء واحد فى الحقيقة . فلولا أنه يحب الاستمتاع بها لما أبغضها ، ولولا أن الرجل يعرف لذة المشوقة لما استمرت فى نفسه بغضاؤها حين يحال بينه وبين متعتها كما يشتهيها ، ولولا الإحساس المرهف لما كان الألم ولا كانت الحاجة إلى الترفيه عن النفس المتألمة بالاقبال على اللذات والتشاغل بالسرور ، فإنما اللذات هنا ترياق لا يحتاج إليه إلا من هو مريض فى المستشفى ، بل هو مرقد لا يحتاج إليه إلا من فارقه الرقاد ولازمه السهاد

وكان شوبنهور ينفر الناس من الدنيا ويحرص على ماله ولا يفرط فيه ، فكيف يكون التوفيق بين مذهب التنفير ودافع الحرص الشديد ؟

هما أيضاً شيء واحد فى بواطن الأمور

فالحرص على المال علامة فى بعض حالاته على الحذر الشديد من الناس ، وقلة الركون إلى الوفاء والإخلاص والمعونة من الأصدقاء والأقرباء ، فإذا افتقر إليهم فهو على يقين أنهم لا يسعفونه ولا يحفلون بما يصيبه ؛ وإذا نظر إلى المستقبل فهو على يقين أنه سيفتقر أو يستهدف للنكبات والمتاعب ، لعظم خوفه من العواقب وإشفاقه من غدرات الحوادث ، وعلى قدر هذا الخوف وهذا الإشفاق يكون الحرص على المال الذي ينفعه حين لا ينفعه صاحب ولا قريب

وكان شوبنهور عبوس الرأى مشرق الفكاهة كثير التنكيت والتبكيت ، فكيف التوفيق بين الخصلتين ؟

لا ضرورة إلى الإطالة فى التماس التوفيق بينهما ، فهما متفقتان لا تتعارضان

فالرهف الإحساس يتألم ، والرهف الإحساس يفطن للفارق الدقيق بين طوايا الناس ودعاواهم ، وهذا — أي الفارق الدقيق بين الطوايا والدعاوي — هو ينبوع التهكم الذى لا ينضب

ومبعث الفكاهة ومادة «القفش» كما تقول فى لغتنا نحن المصريين

والمرهف الإحساس من جهة أخرى يشعر بالألم فيحتاج إلى الضحك والسخرية وعنده المادة موفورة كما أسلفنا، فيتزود منها حيناً بعد حين عسا ريحه إذا التمس الراحة، وما يصول به على خصومه إذا تعاوروه بالإساءة والإيذاء، وهو يتهمهم أبداً بأنهم يفعلون ذلك وإن لم يفعلوه

ومن راقب إخوانه وعشراءه عرف بالتجربة والمشاهدة أن النكتة المريرة أنفذ وأمضى وأدعى إلى المفاجأة من نكات المرح والخفة والمجانة، ولا سيما إذا اقترنت بالذكاء الثاقب والخبرة الواسعة والاطلاع الموفور، وكل أولئك كان من خصال شوبنهور ولوازم طبعه، ولو ضعفت مرارته لضعفت فكاهته على خلاف المنظور فى ظواهر الصفات

وهكذا يؤدى بنا تطبيق المنطق على الخلائق الإنسانية إلى نقيض المتبادر من قريب، فنستغرب الأمر لأول وهلة ثم نمضى قليلاً إلى ماوراء ذلك فإذا المستغرب هو المألوف، وإذا المألوف فيما زعمنا أولاً هو الغريب البعيد

وخطأ أن يقال إن منطق العواطف غير منطق العقول ... كلا! بل هما منطق واحد فى جميع الحالات، وكل ما هنالك أننا لا نستحضر وجوه المقارنة جميعها إذا بحثنا فى ظواهر العواطف والأخلاق، فإذا استحضرناها وجمعنا أسبابها فالحكم على كل حال لا بد أن يطرد ويستقيم

وهكذا نصنع إذا حكمنا فى قضية لها عشرون شاهداً من الجانبين ولم نسمع إلا خمسة شهود من جانب واحد. فهل يجوز لنا إذا اختل حكمنا أن نقول إن منطق القضايا الدنية أو الجنائية غير منطق العقول؟ كلا. بل نقول إن المنطق واحد لا تناقض فيه، ولكننا نحن نسينا أسبابه وأغفلنا جوانب الحكم والمقابلة

من هنا يتبين لنا أن «شوبنهور» يعرض لنا صورة منسوقة من سيرته وفلسفته، وأن شذوذه هو اللون الصادق فى جلاء تلك الصورة والموافقة بين أنوارها وظلالها، وأنه ابن مزاجه وتكوينه فى كتبه وفى حياته، كما كان ابن زمانه وأسرته وبلاده وما اختبره واطلع عليه

وما من رأى فى كتب الفيلسوف إلا وله مرجعه إلى حالة من حالات زمانه أو دخيلة من دخائل بيته، فقد رأينا كيف علمه سقوط نابليون أن العمل للإرادة وأن الإرادة إلى فشل وحبوط.

فهل من علة لتقسيم الإرادة والذكاء بين الرجل والمرأة أو بين الآباء والأمهات؟ أو هل من علة لحقده على جنس النساء وكراهته للنسل والزواج؟

نعم. علة ذلك أن أباه كان من رجال الأعمال وقد مات مجنوناً وقيل إنه بخع نفسه بيديه، وإن أمه كانت ذكية حصيفة تكتب الروايات وتنافس ابنها فى عالم التأليف، وكانت تعيش بعد أبيه عيشة مريبة فاعتزلها ولم يرجع إليها بقية عمرها. فمن ثم كان اعتقاده أن الولد يرث الإرادة من الأب والفكرة من الأم، وأن تمام الفكرة والإرادة فى الإنسان إنما يكون على هذا المنوال، فيصبح وهو مثال الدنيا التى تنتهى من الإرادة إلى الفكرة إلى «النرفانا» وما يشبه الفناء

شوبنهور عجيب، وأعجب ما فيه أن شذوذه كله يستقيم مع التعليل وتتفق فيه الظواهر والأسباب، ويعرض لنا نموذجاً صادقاً لنقائض الأخلاق، وهى فى باطن الأمر أقرب ما تكون إلى المألوف المطرد المنظور

عباس محمود العقاد

مظاهر داء الشعور بالحقارة

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

من الأمراض الاجتماعية التى حققها المفكرون حديثاً ، مرضان نفسيان : الأول داء الشعور بالعظمة ، وقد يظهر بمظاهر العظمة أو بمظاهر التواضع المكذوب الذى ينم عن الكبر ؛ وداء الشعور بالحقارة، وهذا أيضاً يظهر بمظهرين مختلفين : مظهر التواضع المتناهى وتحقير النفس ، ومظهر التعاظم الذى يراد به ستر مايشعر به المرء من احتقاره لنفسه . وهذا الشعور قد يكون مؤسساً على أمور فى العقل الباطن فلا يتنبه صاحبه إلى حقيقة أمره ولا يعرف أنه مريض بداء الشعور بالحقارة

وقد يختلط المرضان لأن كلا منهما يظهر إما بالتعاظم وإما بالتواضع ، ويغالى فى التعاظم أو التواضع ، ولكن تعاظم المصاب بداء الشعور بالعظمة يكون مقروناً بشىء من الاطمئنان والثقة . وقد يبلغ الاطمئنان مبلغاً يجعل صاحبه لا يدرك سخر الناس ؛ أما تعاظم المصاب بداء الشعور بالحقارة فهو تعاظم يساوره القلق وغطرسة تنتابها حُمَّى الحقد والحسد ، فالخلط بين الداءين من هذه الناحية يدل على خطأ فى الاستقراء ونقص فى الخبرة وخطل فى التفكير . وكذلك الخلط بين تواضع المصاب بداء الشعور بالعظمة وتواضع المصاب بداء الشعور بالحقارة ؛ فالتواضع الأول مقرون بالثقة أيضاً ، ويظهر من ورائه اطمئنان صاحبه إلى عظم نفســه . أما تواضع المصاب بداء الشعور بالحقارة ، فهو تواضع يظهر من ورائه الحقد والحسد ؛ وليس من لوازم داء الشعور بالحقارة أن يجمل مظهريه مظهر التعاظم ومظهر التواضع فى رجل واحد فى أوقات مختلفة . إنه قد يفعل ذلك ولكن كثيراً مانرى أنه يختص رجلاً بالتعاظم وآخر بالتواضع ؛ وأكثر شيوع داء الشعور بالحقارة يكون فى الأمم التى لبثت عصوراً طويلة مغلوبة على أمرها ، ولا يهم التمييز بين أصحاب النظريات فى تفسير نشأة هذا المرض الاجتماعى

وأكثر ضرر داء الشعور بالحقارة يكون إذا صال به رجال أناس قد بلغوا شيئاً من الجاه والمنزلة والثروة أو كانت لهم سلطة ، فإن اقتران القدرة به والنفوذ والسلطة مفسدة وأى مفســدة . وكذلك إذا كان صاحبه قدوة لغيره ، فإنه يفسد النفوس بما ينشره

هذا الداء الوبيل داء الشعور بالحقارة من الأحقاد والضغائن والأكاذيب والشرور والحقارة والفساد ، ولا تستطيع أمة أن ترقى إلا إذا تمكنت من اقتلاع جرثومة داء الشعور بالحقارة من نفوس أفرادها ، وإلا إذا عالجته فى مدارسها علاجاً نفسياً صحيحاً باطلاع الطلبة والتلاميذ على حقيقة نتائجه ، فإن نتائجه قد تظن محمدة واعتزازاً بالنفس ، أو قد تظن غير ذلك على حسب مايظهر به داء الشعور بالحقارة من المظاهر سواء مظاهر العظمة التى يساورها القلق والحقد والحسد أو مظاهر التواضع التى تساورها هذه الأمور أيضاً . ومن الحكمة جمع الشواهد والأدلة وتفسيرها ، فالغيبة والنميمة مظهران من مظاهره ولا شك، لأن منشأهما الرغبة فى الاستعلاء بوسائل غير مشروعة يتخذها من يشعر فى نفسه بالعجز عن أسباب الاستعلاء الفاضلة لتمكن داء الشعور بالحقارة من نفسه ، وكذلك حب الظهور من شواهد هذا الداء وأدلته ولو كان ظهوراً يؤدى إلى ضياع الثروة والعقارات والفدادين . ومن شواهده الولوع بالفكاهة اللاذعة للسخر حتى بالغرباء ، كل هذه محاولات من المرء أن يقهر شعوره بحقارة نفسه وأن يقنعها بأنه أفضل من غيره . ومن شواهد داء الشعور بالحقارة أيضاً عدم احترام حدود الحق والواجب ، لأن العظيم حقاً يجد من عظم نفسه الحقيقى ما يسليه عن الفشــل فى نيل أمر تمنع من نيله حدود الحق والواجب ، أما الذى يشعر فى نفسه بداء الحقارة ، فإنه يرى فى طمس حدود الحق والواجب زيادة فى قدرته وعظمته وشفاء لما يشعر به من ألم الحقارة أو لما يتحسسه فى أعماق العقل الباطن من هواجس هذا الداء إذا كان صاحبه لا يدرك حقارة نفســه أو لألم الحقارة وهواجس العقل الباطن معاً . ومن شواهد هذا المرض وأدلته أيضاً الامتعاض من لباب الأمور ، فإن صاحبه يكره اللباب المحض الصريح لأنه يشعر أنه يبرز عجزه ويهتم للبهرج المزيف لأنه براق خادع ولا يكلف ما يكلفه اللباب . وليس من الضرورى أن يكون المريض بداء الشعور بالحقارة غبياً أو بليداً . وهــذا الشعور بالحقارة قد يعظم فى نفس صاحبه حتى أنه قد يدفعه إلى الاثم والجرم الشنيع . وقد يصير جنوناً أو شبه جنون وحتى تصبح نفس صاحبه كالمفرزات القذرة التى يتصاعد منها الذباب الكثير الألوان ، فمن ذباب أزرق وذباب أصفر وآخر أسود وغيره أحمر إلى آخر أنواع هذا الذباب الذى ينبعث من الأقذار . وقد

يعظم داء الشعور بالحقارة فى نفس صاحبه حتى كأنما يخيل له أن الأرض لا تستطيع أن تحمل ثقل شعوره بحقارة نفسه وهى هي الأرض التي حملت الجبال وحملت الناس والحيوانات حتى الحيوانات الهائلة التي اندثرت قديماً ؛ وهى الأرض التي حملت طوفان نوح ونلكه المشحون وحملت حماقة الناس وآثامهم وغباوتهم وجهلهم من عهد سيدنا آدم ، وحملت الأرض كل هذه الأشياء ولكن كأن المسكين يخشى أن تلك الأرض نفسها ربما لا تستطيع أن تحمله وأن تحمل ثقل شعوره بحقارة نفسه . وهذا الشعور بالحقارة مما يزيد الحياة مرارة وألما . وله عدوى في بعض البيئات مثل عدوى الأمراض الجثمانية المعدية . ومن درس التاريخ عرف أن الأمراض النفسية تكون لها فى بعض الأحايين عدوى مثل عدوى الأمراض الجثمانية المعدية . أو لعل تلك الأمراض النفسية تكون مصحوبة بأمراض عصبية كمرض (الهستريا) . وقد شوهدت عدوى تلك الأمراض النفسية وشوهد وباؤها بصفة خاصة في عصور الانقلاب الفكرى والاجتماعى والاقتصادى وفى عصور الكوارث الطبيعية الكبيرة والثورات والحروب ، ولكنها تظهر فى شكل أقل شدة وحدة فى حياة الناس اليومية

وداء الشعور بالحقارة قد يصيب الغبي كما يصيب الذكى ، وقد يصيب الوضيع المنزلة كما قد يصيب الرفيع المنزلة الذى ارتفع بعد ضعة أو ارتفع أبوه أو جده بعد ضعة أجداده . وهو فى أشد حالاته يكون مصحوباً بجنون خلق لايميز صاحبه الخير من الشر ، ولكن ليس كل جنون خلق يكون مصحوباً بداء الشعور بالحقارة

والشواهد على وجوده كثيرة ؛ فالوضيع الذى يتعالى ويتعاظم مصاب به ، والرفيع المنزلة الذى تصيبه حمى إذا رأى ميزة فى إنسان أو استضعفه وحاول القضاء عليــه بوسائل تنجيه من العقاب والمؤاخذة . ومثله مثل الفلاح الذي يسلط الأشقياء على الناس لسبب تافه أو لغير ما سبب إلا حب الأذى وحب الظهور . وقد عرفنا أناساً من هـذا القبيل يصابون (بالسادزم) نسبة إلى الكونت دى ساد الفرنسى الذي كان مصاباً بداء التلذذ بالتوحش والقسوة . فترى أن داء الشعور بالحقارة فى أشـد حالاته يكون مصحوباً بالجنون الخلق وبجنون التلذذ بالتوحش والقسوة . وسنحصى بعض شواهد هذا المرض فى مقال آخر

عبد الرحمن شكرى
المفتش بوزارة المعارف

من برجنا العاجي

طالما جلست فى صباى ساعات طويلة أتأمل قوافل النمل تسير على الحيطان . وكنت أحياناً أدنو منها وأصيح بأصوات مدوية ، فما يبدو عليها أنها سمعت شيئا ؛ فالنظام هو النظام ، والخطى هى الخطى ، والتجارة الضخمة المحمولة على الأعناق : وهي جناح « صرصار » كبير ، ما زالت تتهادى مطمئنة فى طريقها إلى عاصمة المملكة المتيدة داخل ذلك الثقب البارز فى أسفل الجدار . وكانت الجيوش قد قاربت المدينة ؛ وخرجت جيوش أخرى تستقبل القادمين وتحمل عنهم بعض العبء . وكأن الجميع فى فرح وحركة ولغط لايصل صداه إلى مسامعى الغليظة ؛ كما أن أصواتى الراعدة لا تبلغ آذان تلك المخلوقات الدقيقة . فحدثتنى النفس أن أحدث حدثاً فى تاريخ هـذه « البشرية » الصغرى ، فأتيت بكوب من ماء وصببت مما فيه على القوافل الظافرة . ولبثت أنظر إلى الكارثة فى ابتسام ، فإذا شمل الجيوش قد تمزق ، وإذا الذعر قد دب فى الجموع . ولكن الفلول سرعان ماعادت تحمل « التجارة » من جديد فى حرص المستميت . عند ذلك أقصيت الكوب وقد تحرك قلبي وقلت في نفسى : إن هـذه المملكة ولا ريب تأخذ الآن عبثي على سبيل الجد ، وأنها ولاشك تحسب ما حدث الساعة ظاهرة من ظواهر الطبيعة القاسية . فما هذا عندها إلا سيل العرم ، أو طوفان هائل ، أو قضاء هبط من السماء . وتأملت لحظة شأننا نحن « البشرية » الكبرى ، وقلت : من أدرانا أنا لسنا أحسن حالاً من هذا النمل ؟ ومن أدرانا أن ما نسميه ظواهر جوية وطبيعية من زوابع وأمطار وزلازل وبراكين ليس إلا عبث مخلوقات أخرى ذات أحجام وصفات لانستطيع لها تصوراً ؟ ومن أدرانا أن ليست فى هذا الكون أصوات هيهات لآذاننا الصغيرة أن تدرك وجودها ؟ لم لا نكون نحن أيضاً نملاً أرق من هذا النمل وأحط من نمل آخر من جوهر آخر لا نعرف ما هو ؟ إن الله لأعظم مما نظن ؛ وإن حواسنا لأقل إدراكا لما فى الكون مما نتخيل !

توفيق الحكيم

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٢ —

... وبكّرت إلى منزل ليلى بكور الندى لأدعوها إلى شهود حفلة الافتتاح . فوجدت الشقية فى الفستان المصرى الفضّاح الذى زارت به معرض القاهرة فى ربيع سنة ١٩٢٦ ، وكان يجب على ذلك الفستان أن (يذوب) بعد أن (ذابت) به أكباد وقلوب ، ولكنها حفظته تذكرةً لحبها الأول ، الحب المشئوم الذى أورثها الضنى والذبول ، الحب الذى عجز عنه الأطباء والذى أجاهد فى خلاصها منه بحب أقوى وأعنف ، إن كانت الصبابات القديمة أبقت فى عزيمتى ذخيرة للجهاد .. وقد اهتاجت الغيرة فى صدرى حين رأيت ذلك الفستان فكدت ألطم ليلى على خدها الأسيل . ثم تراجعتُ حين تذكرت أن بلواها من بلواى . وهل كان حبى فى بغداد أول حب حتى أنتظر أن تحبنى ليلى أول حب ؟ إن السكينة تعرف أن طبيبها من قدماء المحاربين ، وتعرف أنه لم يحمل النظارة إلا بعد أن تعبت عيناه من نضال العيون . فليكن أنسها بحبي أنس الجريح بالجريح ، ولتفهم أني أشفيها من جواها لتشفينى من جواى

وقديماً قال الشاعر :

يا خليلىّ والرفيق مُعينٌ أسعفانى ببعض ما تملكانِ
أبتنى آسياً فقد عِيل صبرى من توالى الوجيب والخفقانِ
أبتنى صاحباً تولّه قبلى وشجاه من الجوى ما شجانى
فلقد يُسعف الجريح أخاه ويواسى الضريب فى الأحزانِ

* * *

وبعد تناول ما تيسر من الصَّبوح خرجنا فى سيارة إلى بهو أمانة العاصمة ، فترجلت عند باب المعظّم لتدخل وحدها ، ومضيت أحمل آمالى وآلامي ، فلما وصلت إلى مدخل البهو اعترضنى أحد الضباط قائلاً : سيدى ، هذه الحفلة خاصة بالأطباء . فقلت : وأنا طبيب ليلى . فابتسم وقال : تفضل ، تفضل

وسألت بعد ذلك عن الرجل الشهم الذى أفسح الطريق لطبيب ليلى فعرفت أنه السيد سليم محمود معاون مدير شرطة السير والمرور ، وسيحدثنا الضابط عبد الحسيب فيما بعد أن الغرام بالأدب من أظهر صفات الضباط بالعراق

وكانت ليلى تعرف أن طبيبها يكره أن تأخذها العيون ، فنظرت فى أماكن السيدات فلم تجد أصلح من جيرة السيدة التى تنطق أسارير وجهها بأصدق معانى الكرم والنُّبل ، عقيلة الرجل الشهم الذى يمثل المروءة المصرية فى العراق

أما أنا فأخذت مكانى بين الدكتور عُسَيران والدكتور عَلاَّوى .

وكنت — مع الأسف — ذهبت إلى الحفلة وأنا أضمر الشر للأستاذ على الجارم ، فقد كـتب فى منهاج الاحتفال أنه « شاعر مصر » وأنا أبغض الألقاب الأدبية . فلما وقف ليلقى قصيدته لم أصفق ، وأعديت مَن حولى بروح السخرية فلم يصفقوا ، ولكن الجارم قهرني وقهر الحاضرين جميعاً على أن يدموا أكفهم بالتصفيق .

وغاظنى أن تصفق ليلى لشاعر يرى بحكم منصبه أنه رئيسى ، لأنه كبير المفتشين بوزارة المعارف المصرية . ولولا حكم الأقدمية لكنت الرئيس وكان المرءوس ، ولكن ماذا أصنع وقد سبقنى إلى الأستاذية بأعوام طوال ؟

وأنا والله أظلم نفسى بهذا الكلام ، فما أذكر أبداً أنى حقدت على إنسان . وما أذكر أبداً أنى عرفت معانى الحسد والضغن إلا على الدهر المخبول الذى يتسفل فيرفع الأدعياء . وقد هجمت على شاعرنا الجارم عدة مرات ، وحاربته فى وزارة المعارف يوم رأى زميلى الأستاذ أبو بكر أن يكتب فى نشرة رسمية أنه أمير الشعراء . وقد عرف الجارم خطر ما أصنع ، فكان هو أيضاً يحاربنى فى مكتب تفتيش اللغة العربية ؛ ولولا سماحة الأستاذ جاد المولى بك لكانت النتيجة أن أعيش بين المفتشين بلا صديق

فيا أيها العدوّ المحبوب الذى اسمه على الجارم ، تذكر أنك كنت حقاً وصدقاً شاعر مصر فى المؤتمر الطبي العربى ، وستمر أجيال وأجيال ولا ينساك أهل العراق

وهل تعرف مصر أنك رفعت رأسها فى العراق وأنك كنت

خليفة شوقى فى المانى وخليفة حافظ فى الالقاء ؟

إننى أطلب المستحيل حين أطلب من مصر إنصافك . وهل أنصفتنى مصر حتى تنصفك ؟ هل أنصفتنى مصر وكنت مجنونها وكانت ليلاى ؟

يرحمنى الله ويرحمك ، فنحن وحده جزاء المجاهدين

* * *

وعند نهاية الاحتفال دعوت ليلى للتسليم على سـعادة المشماوى بك ، وسعادة على باشا ابراهيم ، وفضيلة الشيخ السكندرى

أما المشماوى بك فسلّم تسليما خفيفاً ، سلم تسليم «المتباهين» ليظهر أنه أكبر من أن يفتنه الجمال ، والمشماوى بك « يتباله » فى جميع الأحوال ، وقد درسته حق الدرس ، فعرفت أنه يحمل كبداً أرق من أكباد المحبين ، ولكن له قدرة عظيمة على « التباله » فمن الذى علّمه هذا الأسلوب ؟

وقد حقدت عليه ليلى ، فليعرف سعادته أن غضب ليلى سيحل عليه ، وسيرى عواقب ذلك فى الأيام المقبلات !

أما يخيفك وقارك مرة يا عشماوى بك ؟ اتق الذوق إن لم تتّق الجمال !

وقد قهقه الشيخ السكندرى حين رأى ليلى وقال : كنت والله أحسبك تمزح يا دكتور زكى ، وما كنت أظن أنك جئت حقيقة لمداواة ليلى المريضة فى العراق

والشيخ السكندرى معذور ، فهو يظن أن العشق انتهى من الدنيا بعد قيس وليلاه ، وأن النـاس لم يعودوا يحبون غير الملوخية الخضراء !

أما الدكتور على باشا إبراهيم فنظر إلى ليلى نظرة الأرقم وقال : ما أستطيع الحكم بشفاء ليلى إلا بعد أن أفحصها بنفسى

ورأت ليلى أنى غضبت فقالت : إنى أحترم رأى سـعادة رئيس المؤتمر الطبى ، ولكنى أفضل الموت على الحياة فى سبيل الأدب مع طبيبى الخاص

ولم أرد أن تطول اللجاجة بينى وبين رجل كان رئيس اللجنة التى أديت أمامها الامتحان النهائى فى كلية الطب ، فأخذت بذراع ليلى وانصرفت

وأراد سعادة المشماوى بك أن يترضانى فرفضت ، لأنى كنت أعرف ما يريد . وهل كان يريد غير إيناس عينيه بوجه ليلى ؟ إطّلع من « دُول » يا سعادة الوكيل !

وفى الطريق سألتنى ليلى عن العشماوى بك ، وقد ساءها أن يتلقاها بوجه صامت التقاسيم ، فشهدت عند ليلى بأنه رجل فاضل ، وأن جموده فى حضرتها لم يكن جمود استهانة ، وإنما كان جمود تعقّل ، والرجال الرسميون يغلب عليهم التعقل فى أكثر الأحيان !

فهل يعرف سعادة العشماوى بك أننى ذكرته بالخير فى حضرة ليلى ؟

لا أمُنُّ عليه ، فهو يستحق ذلك ، وأكثر من ذلك

* * *

وفى مساء ذلك اليوم أرادت ليلى أن تحضر معى فى الحفلة التى أقامها فخامة رئيس الوزراء ، فقاومتها مقاومة شديدة ، وكانت حجتى أنها ستكون من الحفلات التى يختلط فيها الحابل بالنابل ، وأنه ليس من العقل أن تتعرض ليلى لأنظار المئات من الناس ، وفيهم الفاضل والمفضول

وكنت على حق فى منع ليلى من حضور حفلة المساء ، فهى امرأة محجوبة عن المجتمع منذ سنين ؛ وسيكون مَثلها حين ترى اختلاط الرجال بالنساء مَثل العين الرمداء التى تواجه الشمس بعد أن حجبها الطبيب عدة أسابيع فى الظلام ، ولكنها ألحت ، ثم انتقلت من الالحاح إلى التوسل ، ومن التوسل إلى البكاء ، والمرأة أقوى ما تكون حين تنتحب ، فتخاذلت وقلت فى نفسى : لعل هذه اللجاجة تعود عليها بالنفع ، ولعلها حين ترى تسامح المجتمع الحديث لا ترى غضاضة فى أن أغازلها حين أشاء

ولكن هذا الخاطر تبدّد فى مثل لمحة الطرف ، فأنا أعرف أن وزير المعارف من علماء النجف ، وهو بالتأكيد يكره سفور المرأة ، وإن ساير العصر فأباح اختلاط الجنسين فى المعاهد العالية . ومن المحتمل أن يكره ظهور ليلى فى المجتمع بلباس السهرة . ومالى لا أقول الحق كله فأقرر أن أهل العراق فى النجف وغير النجف ينظرون إلى سفور المرأة بعين الارتياب ؟ مالى لا أذكر بصراحة أن أكثر وزراء العراق يكرهون حضور زوجاتهم فى الحفلات الساهرات ؟ مالى لا أنص — للحقيقة والتاريخ — على أن

وزراء العراق أكثرهم من رجال الجيش ، والجيش يطبع أبناءه على الخشونة والصرامة والعنف ، وأنهم لأجل ذلك من أغير الناس على كرامة ربات الحجال ؟

وأخيراً أعلنتُ ليلى بالرفض المطلق ، فأغربت فى البكاء والنشيج

غضبة الله عليك يا ليلى وعلى جميع بنات حواء !

ورأيتُنى مع الأسف طفلاً فى حضرة هذه المرأة ، فقد استبكتنى فبكيت

ومع ذلك جمعت أشلاء عزيمتى وأصررت على الرفض

وعندئذ تدخلت ظمياء وهى تقول : هل لك أن تسمح بأن تخرج ليلى معك فى ثياب فتًى من الأعراب ؟

فكدت أطير من الفرح لهذا الاقتراح الطريف ، ومضت ظمياء فأحضرت ملابس ابن عمها عبد المجيد ، فلبست ليلى بسرعة البرق ، وخرجت معى

ولكننا ما كدنا نخطو بضع خطوات حتى تنبهت إلى الخطر المخوف ، فقد تذكرت أن ليلى وهى فى ثياب الفتى البدوى لن تقضى السهرة كلها فى صمت ، وهل يمكن لامرأة أن تسكت ؟ وليلى تملك صوتاً هو فى ذاته من كبريات الفضائح ، وقد نصعت فيما سلف على أن لصوتها رنيناً مبحوحاً لم تسمع مثله أذناى على كثرة ما تذوقت من بُغام اللاح

فالتفت إليها وقلت : ليلى ، ليلاى ، اسمعى واعقلى ، فإن صوتك سيفضحنا فى الحفلة

فقالت : أتعهد بالصمت المطلق

فقلت : وكيف ؟ وهل أضمن السلامة من واغل سخيف يسلم علىّ عمداً ليظفر منك بتحية ، فتكون نبرة واحدة من صوتك المقتول نذيراً بعواصف الفضائح ؟

ولنفرض أنك تلزمين الصمت ويلزم الناس الأدب فكيف تخفين هذه المشية ؟

إن مشيتك يا ليلى فضيحة ولو لبست ثياب الجاحظ ، والسامرون ينظر بعضهم إلى بعض ، وأنت ستخطرين حتماً بين السامرين ، وما أضمن أن يتأدب الجميع فلا تطرق سمعك كلمة نابية أقع بسببها فى معركة تطنطن بها الجرائد فى مصر والشام والعراق

إعقلى يا ليلى ، إعقلى ...

ولكن اللئيمة لم تسمع ، ومضت تخطر فى الطريق ، فلطمتها لطمتين ورجمتها صاغرة إلى البيت ، فودّعتنى وهى تقول : سلمت يداك ، فإنى أحب الرجل البطاش

* * *

دخلت الاحتفال فوجدته يموج بالطرابيش فتهيبت وتخوفت وانتظرت حتى يأخذ المدعوون أمكنتهم من السماطين ، لأتخيّر مكاناً ليس فيه طرابيش . ولا أدرى ولا النجم يدرى كيف أخاف الطرابيش ! وربما كان السببُ فى ذلك أنى أريد أن أحيا فى الحفلة حياة سعيدة ، وهى لا تكون كذلك إلا إن خلت من التوقر ، وما يمكننى أن أخرج على التوقر فى حضور الطربشين . وهل لبست السدارة إلا لأنجو من عنجهية المطربشين ؟

عفا الله عن مصر ! فقد قتلت ما فى صدرى من شاعرية بفضل ما درجت عليه من التزمت والجمود

ولكن أين أجلس على المائدة ؟ أين ؟ أين ؟

الحمد لله ! هذا مكان يزدان بعمامتين من وطن سيدنا عمر ابن أبى ربيعة رضى الله عنه ، وكان عمر بن أبى ربيعة من المجاهدين الذين قال فيهم جميل :

يقولون جاهد يا جميل بغزوة ... وأى جهاد غيرهن أريد
لكل حديث عندهن بشاشة ... وكل قتيل بينهن شهيد

ومن مزايا سيدنا عمر بن أبى ربيعة أنه وُلدَ فى الليلة التى مات فيها سيدنا عمر بن الخطاب . وقد اشترك هذان القرشيان فى الجهاد ، فكان ابن الخطاب يغزو الممالك والشعوب ، وكان ابن أبى ربيعة يغزو الأفئدة والقلوب

وأريد أن أقول إن عمر بن أبى ربيعة لا بد أن يكون ترك فى الحجاز بعض التقاليد الصالحات ، وقد أجاز له القرشيون أن يقول :

نظرت إليها بالمحصَّب من منًى ... ولى نظر لولا التحرج عارمُ

ولا يمكن أن يكون النظر إلى امرأة فى المؤتمر أخطر من

النظر إلى امرأة فى المحصَّب ، وما جاز فى مكة وهى بلد حرام لا يمتنع فى بغداد وهى بلد حلال

وكذلك اطمأننت على المائدة كل الاطمئنان

ولكن ما هذه المفاجآت ؟ أترانى لا أخرج من مأزق إلا وقعت فى مأزق

هذه عمامة ثالثة ، وهى من نوع خطر ، لأنها عمامة وزير المعارف ...

ونظرت فرأيتني فرغتُ من النهام الحساء ، وتغيير المكان بعد ذلك باب من السخف

وما الذى يخيفنى من وزير المعارف وهو من كبار الشعراء ولا يخلو شاعر من صبوات ؟

ما الذي يخيفنى من جيرة شاعر سليم الذوق مثل معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبي ؟

يخيفنى أنه أديب صار وزيراً ، وحياتى امتلأت بالأكدار والأوحال بفضل صحبتى لرجل أديب صار من الوزراء . وأنا فى فى هذه المذكرات لا أتجنى على أحد ، وإنما أسجل صور المجتمع . وكان فى مصر أديب يعطف على أدبى أشد العطف ، فلما صار وزيراً فسد حالى عنده أشد الفساد . كان فى حاله الأول يقول : زكي مبارك شاب يجيء منه ؛ وكان فى حاله الثانى يقول : مذهب زكى مبارك فى الأدب سيفسد عشرة أجيال

وقد تعبت فى تعليل هذه الظاهرة النفسية ، ثم اهتديت إلى أن الأدباء الوزراء يهمهم أن يصححوا مراكزهم فى المجتمع ، ذلك بأن المجتمع يتوهم وهو خاطىء أن الأدباء يستبيحون من ألوان الحياة ما لا يستبيح ، فالأديب حين يصير وزيراً يضيّع وقته فى تصحيح مركزه الذى جرّحته أوهام المجتمع ، فينقلب إلى رجل متحرج متكلف لا يعوزه غير عمامة عجراء ليصبح شيخ الأزهر أو نقيب الأشراف

وكنت خليقاً بأن أعلل النفس بأن ما أخافه فى مصر قد لا أخافه فى العراق

ولكنى تذكرت حكاية الثعلب الذى همّ بالرحيل عن مصر فى سنة ١٩١٦ فقد سألوه : لماذا تهاجر يا أبا الحصين ؟ فقال : « ألم تعلموا أن السلطة العسكرية قررت جمع ما فى مصر من جمال ؟ فاعترض عمدة الباجور وقال : وهل أنت جَمَل ؟ إنما أنت ثعلب . فقال الثعلب وهو يحاور حضرة العمدة : إلى أن يثبت أنى ثعلب لا جَمَل أكون ضِعت

وكذلك أخشى أن أضيع قبل أن يثبت أن العقلية العراقية تباين العقلية المصرية . وعلى أساس هذا المنطق جلست على المائدة فى غاية من الأدب والاحتشام . وأنا رجل يزدان بالأدب فى قليل من الأحيان

* * *

ولكن معالى وزير المعارف ستشغله ألوان الطعام عن مراقبة ما يصنع زكى مبارك ! !

وهل كنت مغفَّلاً حتى تفوتني هذه الحقيقة الأولية ؟

انتظرتُ حتى علَتْ قعقعةُ الشوكات والملاعق والسكاكين وأرسلت بصرى فرأيت امرأة تحادثنى عن بُعد بعينين ترسلان أشعة المذوبة والحلاوة والرفق

ورأيت الفرصة سانحة لدراسة هاتين العينين لأضع عنهما فصلاً فى كتاب (سحر العيون) الذى شرعت فى تأليفه منذ أعوام . وحضور هاتين العينين زاد اقتناعى بفوائد المؤتمرات ، ولا سيما المؤتمرات الطبية ، وسأكون بإذن الله عضواً فى جميع المؤتمرات لأجد الموادّ الشائقة لكتاب (سحر العيون)

ورأت المرأة أنى أسأت الأدب فصوبتْ سهام عينيها لتقتلنى ، ولكنها لم تفلح ، فقد حاربتنى قبل ذلك عيون وعيون ثم نجوت . ولو كانت العيون تقتل حقيقة لكان لى ضريح يزوره العشاق فى باريس

فإن سأل قارىء هذه المذكرات عن جوهر هاتين العينين فأنى أجيب بأنهما توحيان الحب ، ولا توحيان الاثم . وسأعيش ما أعيش وأنا أتشوف إلى تقبيل قدمى هذه المرأة التى سحرت المؤتمر وهى فى سذاجة الأطفال . وربما كنت أول من نظر إليها بعين الطُّهر والعفاف . ولو كنت مثّالاً لاشتريت الساعة بألف دينار لأضع منهما تمثالاً يفضح تمثال أفروديت . وليتها تعرف ذلك فيستهويها حب المال ، لأنى لن أفرغ من صب تمثالها

فى أقل من عامين . وعلىّ عهد الله أن أقنع منها بما يقنع السارى من بدر السماء

قلت فيما سلف إني رجل مفضوح النظرات . وكذلك وقعتُ ، فلم تمض لحظات حتى تنبه زوجها إلىّ ، فما كان يسير بها إلا وحوله جيش من المعارف والأصدقاء ليصدّ غارة الاثم والفتون

وماذا يهمنى ؟ إنه يتوهم أنى سأحاول مع زوجته ما حاوله عمر بن أبي ربيعة مع زوجة أبي الأسود الدؤلى فى الطواف ، ولكنه مخطىء ، فأنا بالتأكيد أحسن أخلاقاً من أستاذى عمر ابن أبي ربيعة ، وأنا قد تفوقت على أساتذتى فى أشياء كثيرة ، منها هذا الشيء . أنا أَجِدُّ وعمر كان يمزح ، وهل ترك ابن أبي ربيعة غير أشعار ملوّثة بالمجون ؟ أما أنا فسأترك بعون الله ورعاية الهوى ثروة فلسفية تشرح ما استبهم من أسرار الجمال

سيعادينى هذا الزوج وسأعاديه ، ولكنى سأعرف كيف أتقى شره فأدرس عَينىْ زوجته من بعيد بحيث لا يجرؤ على اتهامى بالفضول

وأسارع فأقرر أنى اشترك فى جميع الحفلات والرحلات لأستطيع التمكن من دراسة هاتين العينين ؛ واستعنت بالدكتور محمد صبحى بك فى تحديد ما خفى علىّ من الدقائق البصرية ، ولم يبق إلا شيء واحد هو الوطن الذى تسرح فيه هذه العيون

كيف أصل إلى ذلك وزوجها بالمرصاد ؟

انتظرت وانتظرت ، ثم انتظرت ، إلى أن جمع بيننا زحام الرقص بعد ثلاث ليال ، فدنوت منها فى خفية وقلت :

tu m'oublieras un jour !

فقالت فى عبارة تجمع بين العتْب والرفق : « دخيلك ، دخيل ألله ، اتركنى لحالى ! »

فعرفت أنها من بنات عمنا القديم دماشق بن قانى بن مالك ابن أرنخشد بن سام بن نوح عليه السلام

رباه ! أنت تعلم ما نعانى فى سبيل الحقائق الأدبية والذوقية والفلسفية ، وتعلم أن الناس لا يجزوننا بغير العقوق ، فاغمرنى بلطفك واكتبنى عندك من الصادقين

***

وأعود إلى حفلة رئيس الوزراء فأقول إنها كانت فى غاية من الجفاف ، فلم يشرب فيها المدعوون غير أقداح الماء القراح . وقد تشاكى السامرون بعضهم إلى بعض ، وعرف أحد الأطباء ما فى نفسى فقال : هل سمعت تصريح معالى أمين العاصمة ؟ فقلت : لا . فقال : إنه يقول إن هذه الليلة من ليالى مكة ، وأنه سيرينا فى مساء الغد ليلة من ليالى بغداد

وطاش صوابى فمضيت أبحث عن أمين العاصمة لأسجل عليه الوعد ؛ فرأيته يحادث رجلاً عرفت فيما بعد أنه وزير المالية ، فما كاد يرانى حتى قال : أنا أفتش عليك يا دكتور مبارك

فقلت : وأنا أفتش عليك يا معالى الأمين . ولكن قبل أن أخبرك لماذا أبحث عنك ، أسألك لماذا تبحث عنى ؟

فقال : كنت أحب أن أوجه نظرك إلى وجوب خلع السدارة فى السهرة

فقلت : وأنا لا أخلع السدارة لأنى أكره أن أعطيها أدب القُبَّعَة

فقال : ولكن نحن اصطلحنا على خلع السدارة فى المجتمعات

فقلت : هذا غير صحيح ، فقد رأيت عشرات من النواب يحملون السدائر فى حضرة جلالة الملك وهو يلقى بنفسه خطاب العرش . ورأيت ثلاثة من النواب يخطبون وهم مسدَّرون . وزرت معالى رئيس مجلس النواب في بيته فكان يحمل السدارة وهو فى غرفة الاستقبال . والصحف تنشر صورة جلالة الملك مسدراً وهو يقرأ الفاتحة على قبر أبيه

فقال : قلت لك إننا اصطلحنا على خلع السدارة فى المجتمعات

فقلت : وأنا أرى الشواهد التى قدمتها كافيــة لإقناعك بوجوب التسامح فى هذا الاصطلاح

فقال : أنت أستاذ وأعمالك قدوة ، وأخشى أن أقول إنك تعطل ما نسعى إليه من جر الشعب إلى المدنية

فقلت : وأنا أخشى أن تجروه إلى الحيوانية

فظهر الغضب على وجهه وقال : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟

وعرفت أن الموقف سيسوء فأسرعت إلى تحديد ما أريد وقلت : أقول يا معالى الأمين إن الانسان هو الحيوان الوحيد

الذى يغطى رأسه ، وما عداه من الحيوان لا يعرف تغطية الرأس . وكذلك أحكم بأن كشف الرأس يقرب الانسان من الحيوانية

فأخذنى من يدى وانتحى ناحية وقال : كيف تقول أمام معالى وزير المالية إننا حيوانات ؟

فقلت : معاذ الأدب أن أقول ذلك ، وإنما شرحت المسألة من وجهة علمية ، فقررت أن الانسان هو الذى يغطى رأسه من بين سائر الحيوان

فقال : ولكنك على كل حال جرحتنى ، فان كنت جادًّا فلتعلم أنه لا يستطيع أحد فى العراق ولا فى مصر أن يخاطبنى بمثل هذا الكلام . وإن كنت مازحاً فاسمح لى أن أصارحك بأن للرجل أن يمزح ، ولكن ليس له أن يخرج على الذوق

فقلت : ما كنت جادًّا ولا كنت مازحاً ، وإنما كنت أقرر حقيقة علمية

فقال : يظهر أن ما سمعت عنك صحيح

فقلت : وماذا سمعت ؟

فقال : سمعت وقرأت أنك رجل مشاغب ، ومن واجبى أن أنبهك إلى أنى سحبت منك الدعوة لحضور السهرة المقبلة

فقلت : ذلك ما لا تملك

فقال : ستعرف أن ذلك مما أملك

وانصرف وانصرفت

* * *

ورجعت إلى منزلى مُبَلْبَل الخواطر وأنا أقول : هذا ذنب ليلى ، هذا جزاء من يخالف ليلى ، فلو كانت ليلى معى فى السهرة لغُفِرت جميع ذنوبى ، فقد علمتنى التجارب أن الرجال الذين لهم زوجات سوافر تُقضى لهم مصالح لا تُقضى لأمثالنا أبداً ، نحن المحافظين المغفلين الذين يجهلون خُلق الزمان

أيستطيع أمين العاصمة أن يحجبنى عن ليلة بغداد بعد أن أضعت من العمر ما أضعت فى التغنى بتاريخ بغداد ؟ أفى الحق أنه أعرق منى لأنى من مواليد مصر وهو من مواليد العراق ؟

سترى يا أمين العاصمة أينا أقرب إلى قلب بغداد ، وسترى فى الليلة القادمة كيف تلقانى وألقاك

(المعدية شجون) زكى مبارك

بين الوطنيـــة والأممية

للأستاذ ساطع بك الحصرى

مدير الآثار بالعراق

تتمـــة

يجب أن تتفكك أوصال الأوطان الموجودة وتنحل الروابط الوطنية الحالية ... يجب أن تزول كل هذه الروابط التى تجمع « العمال وأصحاب رؤوس الأموال » فى كل وطن تحت لواء واحد ، وتفرق بين العمال الذين ينتسبون إلى دول وأوطان عديدة ... يجب أن تترك هـذه الروابط الوطنية محلها إلى رابطة جديدة مؤسســة على أساس الطبقات ... بهذه الصورة وحدها يتم النصر للنظام الشيوعى فى كل العالم ، وبهذه الصورة وحدها تتم سيادة العمال ورفاهتهم ...

هذه هى — على وجه الاجمال — أهم الآراء التى تدلى بها « الشيوعية الأممية » فى أمر النزعات الوطنية ...

إن هـذه الدعاية الشيوعية كانت تقوم على عواتق بعض الأفراد والجميات ، حتى زمن الحرب العالمية ... غير أن الشيوعيين تمكنوا — فى أواخر الحرب العالمية — من الاستيلاء على مقاليد الحكم فى دولة من أعظم دول العالم ، وأسسوا فيهـا نظاماً شيوعياً ... وهذه الدولة الشيوعية — أى روسيا السوفيتية — أخذت على عاتقها مهمة الدعوة إلى الشيوعية فى كل أنحاء العالم ، وصارت تقوم بهذه المهمة بكل ما لديها من وسائط مادية ومعنوية ، من أموال وافرة إلى تشكيلات منتظمة ...

إن آلام الفقر وآمال الرفاهة التى تستولى على نفوس العمال من جهة ، والدعاية الخلابة التى تقوم بها روسـيا السوفيتية — مستندة إلى تشكيلات واسعة النطاق ومحكمة الترتيب — من جهة أخرى ... قوّت النزعة الأممية الشيوعية فى بعض البلاد ، وأقامت بهـذه الصورة أمام النزعة الوطنية عدواً جديداً خطراً جداً ...

والنزعة الوطنية لم تتقاعس عن العمل تجاه هذا العدوّ بطبيعة الحال . إنها أخذت تناضل الشيوعية بحزم شديد وقوة كبيرة ،

فانتصرت عليها فى بعض البلاد ، كما فعلت النازية فى ألمانيا والفاشية فى إيطاليا ... غير أن النضال لا يزال سجالاً بين النزعتين ، مادة وجهاراً ، كما فى أسبانيا ، أو معنى وخفية — كما فى عدد غير قليل من سائر البلدان

فيجدر بنا أن نتعرف إلى أوجه هـذا النضال من قرب ، وبشىء من التفصيل :

إن الانقلاب الصناعى الذى بدأ فى أوائل القرن الأخير — والذى لا يزال يستمر إلى الآن — زاد فى فروق الثروة بين الناس زيادة هائلة ، وأوصل مشاكل المعيشة إلى درجة لم يسبق لها مثيل ... لا شك فى أن هذا التطور العظيم الذى حدث فى الحياة الاجتماعية كان يتطلب نظرات وأنظمة حقوقيـة جديدة تضمن للكل حق الحياة والعمل بالعدل الذى يقتضيه هذا التطور العميق .

غير أن الحكومات لم تقدر خطورة هـذه الأوضاع حق قدرها ، فلم تقدم على سن القوانين الضرورية لمالجتها ... وذلك أفسح مجالاً أمام أصحاب رؤوس الأموال للاستبداد بحيـاة العمال بدون تأمل ، وللاسترسال فى استغلال أتعابهم بدون إنصاف ... وهذه الحالة ولدت الاشتراكية التى أخذت تطالب الحكومات بوضع حد لهذا الاستبداد ، وسن قوانين جديدة تثبت حقوق العمل وتضمن إنصاف العمال ، وتمنع تضخم رؤوس الأموال على شقاء الآلاف بل الملايين من العمال ... غير أن الحكومات قاومت فى بادئ الأمر الحركة الاشتراكية ومطالبها مقاومة شديدة ، وهـذه المقاومة أدت إلى حدوث سلسلة ثورات واعتصابات عنيفة كما أدت إلى تفرع الاشتراكية إلى فروع ومذاهب متنوعة . فاختلفت لذلك المذاهب الاشتراكية اختلافاً كبيراً من المتدلة إلى المتطرفة ، ومن الوطنية إلى الأممية

إن الشيوعية هى « الطريقة المتطرفة » التى قامت لمعالجة قضية العمل على أساس هدم كل شىء يقف حجر عثرة فى سبيلها ، ولم تتردد فى إدخال « الوطنيـة » أيضاً فى عداد الأمور التى لا لزوم للتمسك بها .. حتى أنها أوصلت المغالاة إلى درجة القول بأن الوطنية أيضاً من المؤسسات التى يجب هدمها ...

وأما المذاهب الاشتراكية الأخرى ، فإنها تسعى إلى معالجة المشكلة دون أن تسترسل فى تضحية المؤسسات الاجتماعية وهدمها ، ودون أن تتهاون فى « الوطنية » فتقدم على مخالفتها ...

فإن « الاشتراكية الوطنية » — مثلاً — تقول بأن الحياة الصناعية تحتاج إلى معالجة جدية ، غير أن هذه المعالجة يجب أن تبقى دائماً داخل نطاق الوطنية ... إن للعمال حقوقاً طبيعية يجب أن ينالوها ، غير أنه يجب أن يعرفوا — فى الوقت نفسه — أن هناك أمة يجب أن يخدموها ، ووطن يجب أن يعتزوا به ، ودولة يجب أن يعتمدوا عليها ... ولأصحاب رؤوس الأموال أيضاً حقوق يجب ألا يفقدوها ، غير أنه يجب أن يعرفوا هم أيضاً أن هناك أمة ووطناً ودولة ، وأن الأموال التى تحت حيازتهم لم تتكون وتتجمع إلا بفضل مساعى العمال وبفضل أعمال الدولة التى تضمن الأمن العام ، وتنشىء المرافق العامة . فللدولة والأمة والعمال أيضاً حق فى هذه الأموال . فعلى الحكومة أن تتولى بنفسها تنظيم العلائق بين العمال وأصحاب رؤوس الأموال على ضوء هذه الأسس ؛ عليهـا ألا تترك هاتين القوتين وشأنهما تتنازعان ، وعليها أن تعمل كل ما يمكن عمله لجعل هاتين القوتين متآزرتين كما تقتضيه مصالح الأمة والوطن ...

فنستطيع أن نقول بهذا الاعتبار إن الاشتراكية الوطنية السائدة فى ألمانيـا تكون قطباً معاكساً للشيوعية الحاكمة فى روسيا ... وأما النظم النقابية المؤسسة فى إيطاليا فهى أيضاً تقف فى هذه القضية بجانب الاشتراكية الوطنية موقفاً معاكساً لموقف الشيوعية ...

فإن الشيوعية لا تبالى بالوطنية ، وتدعو إلى الأممية ؛ فى حين أن النازية — مثـل الفاشية — تتمسك بالوطنيـة وتعارض الأممية ...

إن عنصر الأمميـة الذى يدخل فى تكوين الشيوعية هو الذى يجعلها خطراً على كيان سائر الدول ، ويضطر الأحزاب الوطنية فيها إلى مقاومتها بشدة ، ومناضلتها بعنف ... لأن البلشفية لا تهدد كيان الدول والأمم من جراء احتمال إقدامها على شن الغارة عليها بواسطة حملات عسكرية ترسلها من وراء حدودها فقط ... بل تهـدد كيان الدول والأمم فى داخلها

من جراء الدعايات التي تقوم بها بين أهليها ، وبواسطة التشكيلات التي توجدها بين أبنائها ...

وهذا الذي يجعل النضال بينها وبين معارضيها عنيفاً جداً ...

ماذا يجب أن يكون موقفنا نحن — أبناء العرب — من هذا النضال العنيف ؟ بين هذه المذاهب الاجتماعية المتضاربة ؟

أولاً — يجب أن نلاحظ قبل كل شيء أن المشاكل التي تعانيها نحن أبناء العرب تختلف اختلافاً كبيراً عن المشاكل التي تعانيها تلك البلاد ؛ فمن الخطأ أن نفكر في اقتباس نظام من تلك النظم على علاته ... غير أن موقف هذه النظم المختلفة من النزعة الوطنية والقومية يجب أن يدلنا على النظام الذي يجب أن نتباعد عنه كل التباعد ، ونحذر منه كل الحذر ...

ويجب علينا أن نلاحظ في الوقت نفسه ، أن الأضرار التي تنجم من الاصغاء إلى الدعاية الأممية لا تكون متساوية في كل البلاد ، بل إنها تزداد وتنقص ، نظراً إلى ضعف النزعة الوطنية والقومية السائدة في البلاد أو قوتها

تصوروا الأمة ناهضة متحدة متصفة بشعور قوى عميق ، ونزعة وطنية شديدة ، قد تأصلت الوطنية والقومية في نفوس أبنائها حتى أنها دخلت في طور الافراط والتعدى ، فصارت تحمل القوم على التوسع على حساب غيرها عن الأمم . لا شك في أن رياح النزعة الأممية إذا هبت على النفوس في مثل هذه الأمة لا تستطيع أن تجتث شجرة الوطنية من جذورها ، فلا يتعدى تأثيرها حدود بعض الاضرار الطفيفة من نوع إسقاط الأوراق أو كسر الأغصان ... إن انتشار فكرة الأممية بعض الانتشار بين أبناء تلك الأمة لا يزعزع بناء الوطنية زعزعة خطرة ، وكل ما يعمله ينحصر في كسر ثورة الافراط ، وتخفيف أطماع التوسع والاستعمار ...

ثم تصوروا أمة — بعكس تلك — متأخرة في حضارتها ، متفرقة في سياستها ، مترددة في وطنيتها ، استيقظت من سبات عميق في عهد قريب ؛ فلم يمض على يقظتها الوقت الكافي لاختمار الفكرة القومية في نفوس أبنائها ، فلم يتم بعد « تكوّن الشعور القوى » و « تأصل النزعة الوطنية » في تلك النفوس . لا شك في أن تأثير الرياح « الأممية » على أمة كهذه الأمة يكون خطراً جداً ، لأنه يوقف اختمار الفكرة القومية في بدء عملها ، ويحول دون تكوّن الشعور القوى العام في بدء عهده ؛ ويميت تباشير النزعة الوطنية الحق قبل أن تتأصل في النفوس ..

إنني أعتقد بأن نظرة واحدة إلى حالة البلاد العربية والأمة العربية — على ضوء هذه الايضاحات — تكفى دلالة قطعية على أن انتشار النزعة الأممية — ولو قليلا — يكون مضراً جداً ، بل مهلكاً وقتالاً بالنسبة إلى أبناء الضاد ...

فينبغي علينا أن نبذل أقصى الجهود لمنع تسرب النزعة الأممية إلى النفوس في جميع الأقطار العربية

هذا ، وقد لاحظت أن بعض الشبان ، في مختلف البلاد العربية ، يخلطون بين قضية السياسة الخارجية وأمر النظم الداخلية خلطاً غريباً . فكثيراً ما يتساءلون خلال مناقشة مثل هذه المسائل : أية دولة أكثر مطامع في البلاد العربية ؟ هل لروسيا مطامع استعمارية في البلاد العربية ؟ ألم يكن خطر الاستعمار الايطالي أكبر من سائر الأخطار ؟

إنني أعتقد أن وقوف هذا الموقف تجاه المسائل الداخلية والاجتماعية لا يتفق مع منطق السياسة والاجتماع ، لأن علائق الدول الخارجية لا تتأسس على أشكال نظمها الداخلية . فالدول تتفق أو تتخاصم حسب منافعها ، دون أن تنظر إلى مشابهة أشكال إدارتها أو مخالفتها . فقد رأينا — مثلا — خلال الحرب العالمية أن فرنسا اتفقت مع انكلترا وروسيا ، مع أنها كانت جمهورية ، في حين أن انكلترا كانت ملكية دستورية وروسيا القيصرية كانت من الحكومات الاستبدادية . وقد انضم إلى هذه الدول الثلاث ، خلال الحرب العالمية ، عشرات من الدول الأخرى على اختلاف نزعاتها في السياسة الداخلية

فيجب علينا أن ننتقد كل الاعتقاد بأن اعتناق أي مذهب اجتماعي لا يخلصنا من الأخطار المحدقة بنا ، كما أن عدم اعتناق أي مذهب من المذاهب الاجتماعية لا يعرضنا إلى أخطار خارجية غير الأخطار التي تحيط بنا ...

فعند ما ننعم النظر في أمر صلاح أو عدم صلاح النظام الشيوعي لبلادنا لا يجوز لنا أن نبني أحكامنا على سياسة إيطاليا أو روسيا في الأمور الدولية بوجه عام ، أو في أمور البلاد

العربية بوجه خاص ... بل يجب أن نفكر في صلاح أو عدم صلاح هذا النظام بالنظر إلى أحوالنا الداخلية فقط ...

وربما كان وضع الدولة التركية تجاه هذه المسألة من أحسن الأمثلة وأقطع الأدلة في هذا الباب

تعلمون أن تركية مدينة بشيء كثير من حياتها الآن إلى أوضاع روسيا السوفيتية ... لأن الدولة الروسية كانت عدوة تركيا التاريخية حتى نهاية الحرب العالمية ... غير أنها بعد أن تبلشفت تركت عداءها القديم ، بل بعكس ذلك أخذت تسند الدولة التركية ضد الدول الأوربية ، وصارت تساعدها بكل الوسائط الممكنة ، وفعلاً أمدتها بالأموال والأسلحة والعتاد خلال مناضلاتها الاستقلالية ، وحافظت على هذه السياسة نحوها منذ ذلك الحين . فتركية كانت أول دولة تصادقت مع روسيا السوفيتية ، وهي لا تزال من أخلص أصدقائها ... وهي مع كل هذا من أشد أعداء البلشفية ، وهي تطارد وتعاقب بشدة كل من ينتسب إلى الشيوعية أو يقوم بدعاية للشيوعية ... وروسيا البلشفية لا تزال صديقة تركية ، بالرغم من مخالفة الأخيرة للنظم البلشفية في أمورها الداخلية ...

هذه حقيقة واقعية ... وكثيراً ما يصادف المرء في الصحف التركية عدة فصول في وصف حفلات التكريم التي تقام للوفود الروسية ... وبجانب هذه الفصول عدة فقرات تذكر أخباراً متنوعة عن محاكمة الأشخاص الذين سجنوا لانتسابهم إلى الشيوعية ، وعن الأحكام العقابية التي صدرت عليهم من المحاكم المختصة

فلا بد لي أن أذكر في هذا الصدد كلمة مشهورة قالها أحد عظماء فرنسا خلال مناقشة برلمانية ، قبل مدة تزيد على نصف القرن : كان « جول فري » من أبطال الفكرة العلمانية في فرنسا . حارب الكهنوتية أشد المحاربة ، ووضع القوانين التي تحدد ساحة عمل رجال الدين تحديداً كبيراً ، وسعى طول حياته إلى حرمانهم حق فتح المدارس والاشتغال بالتربية والتعليم ... ومع كل ذلك لم يتوان عن مساعدة رجال الدين في الأعمال التي يقومون بها خارج فرنسا ... حتى أنه لم يتردد أحياناً في مساعدة أعمال الإرساليات التبشيرية بالوسائط الدبلوماسية أو بالقوة العسكرية ... فقد اعترض البعض على هذه السياسة المتناقضة ، واستنكروا حماية أعمال رجال الدين في خارج فرنسا في نفس الوقت الذي كانت تمنع فيه هذه الأعمال داخل فرنسا ... فصعد « جول فري » على المنبر وقال كلمته المشهورة : إن عداوة الكهنوت ليست من الأمتعة التي يجوز تصديرها إلى الخارج ...

وأراد أن يقول بذلك : إن عداوتنا للكهنوت يجب أن تبقى من خصائص سياستنا الداخلية وحدها ... وهذه العداوة يجب ألا تمنعنا عن الاستفادة من رجال الدين في سياستنا الخارجية في أمر توسيع نفوذنا خارج فرنسا ...

إنني أعتقد بأن الوقائع والحقائق التي سردتها لكم لا تترك مجالاً للشك في أن كل من يقول بوجوب اعتناق المذهب الشيوعي لدفع أخطار دولة أو لاسترضاء أخرى يكون قد سلك مسلكاً لا يقره « منطق الحقائق » بوجه من الوجوه ...

فعلينا أن ننظر إلى القضية في ذاتها كمسألة داخلية صرفة مجردة عن كل الاعتبارات الخارجية فنسأل أنفسنا : هل يجوز لنا أن نصغي إلى نداء الأممية الشيوعية أم لا ؟ ...

إنني أعتقد أن وضع المسألة على هذا الشكل الواضح لا يترك مجالاً للتردد في الجواب اللازم لها ...

فقد قال أجدادنا :

بلادي وإن جارت على عزيزة وأهلي وإن ضنوا على كرام !

أعتقد أن هذا القول يتضمن أحسن وأبلغ الأجوبة على نظرية الأممية الماركسية ...

لا أود أن أقول — بذلك — إنه يجب علينا أن نترك الأمور على حالها ، فلا نفكر في إزالة الجور عن أفراد الأمة ... بل أقول — بعكس ذلك — يجب علينا أن نبذل كل الجهود لإصلاح الأحوال وإزالة الجور بأعظم ما يمكن من السرعة ... على ألا نخرج في أعمالنا وتدابيرنا عن مقتضيات الوطنية ، وأن نعتقد في كل حين : أن الوطن قبل كل شيء وفوق كل شيء ...

ساطع الحصري

فلسفة التربيـــة

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ١١ —

« التربية مهمة دينية ورسالة مقدسة »
« هربارت »

« من يدر المدرسة يوجه مستقبل الأمة »
« بسمارك »

« أهم المسائل فى مصر مسألة التربية والتعليم ، فلو أن كل مصرى وضع فى تشييدها لبنة لأقنا للوطن صرحاً يبقى ما بقى الزمان »
« الملك فؤاد » (١)

١ — اليوم والغد

رأيت فيما سلف ضرورة الفلسفة للتربية ، وتبينت الكثير من تلك « الأصول العامة » التى تقيم عليها الأمم الديمقراطية الحديثة تربيتها الصالحة وتعليمها السليم . والحق أن ذلك كله لم يكن غير مقدمة عامة أحببت أن أمهد بها لنقد التربية والتعليم فى مصر وطننا المحبوب . فلعلك قد وعيت ما قدمتُ وتود صادقاً أن ترى إلى أى طريق نحن مسوقون ، وأين نحن من تلك الأصول وهاتيك الفروع . ولعلك تشعر معى أن مثل ذلك الموضوع خطير كل الخطورة ، ودقيق كل الدقة ، لأنه وحده بيت الداء ومناط الرجاء ، وأننا محتاجون فيه إلى كثير من الصراحة وسعة الصدر حتى نستطيع أن نشخص الداء على حقيقته ، ونقرر الدواء الناجع والعلاج الصحيح ! ثم لعلك ترى أننا اليوم فى عصر جديد يتطلب منا تربية خاصة تحقق الأمل فى توطيد الديمقراطية وصون الاستقلال ، وبعث المجد القديم ، وتزعم الشرق الحديث ، وإعلاء القومية إزاء مطامع الطامعين ، ومسايرة الحضارة جرياً وراء قفز المتقدمين ... ! أجل ، ولعلك قد استطعت أن تتبين أن نهضتنا الحديثة ما تزال مشوبة بضعف فى الخلق والتواء فى الشخصية ، وضيق فى العقل وانحلال فى الشعور ، وأننا قد أصبحنا مهددين بثورتين جارفتين وقانا الله شرهما : إحداهما ثورة المتعلمين العاطلين ، والأخرى ثورة الجاهلين القانعين ...! أجل ؛ ولعلك قد استطعت أن تدرك أنه لا سبيل إلى تحقيق شىء من هذه المشروعات الاجتماعية الإصلاحية الكثيرة التى يقترحها المقترحون ، إلا إذا كوّنا أولئك « الرجال البواسل » الذين نستطيع أن نعهد إليهم حقاً بمباشرة تنفيذها ، لأن نفوسهم قد تهيأت بالفعل لها وآمنت بها ... وأن الدولة التى تنفق على التربية والتعليم كثيراً وتخصهما بأعظم عنايتها تحيط نهضتها بكل أسباب القوة والنجاح ، وتوفر على نفسها من الجهود والمشقات ، والأموال والاضطرابات ، مالا أول له ولا آخر(١) ...

لعلك إذن تعرف ذلك كله ، وتود حقاً أن تعلم أين نحن وإلى أين نسير ؟ وتعجب كل العجب من إغفال الأحزاب السياسية فى هذا البلد لقضية التربية والتعليم كجزء من برامجها لا يتجزأ ، وكنقطة فى الإصلاح جوهرية لها فسلفتها المعقولة وحدودها المرسومة(٢) ، وكوسيلة لتحقيق الأمانى القومية تغنى عن التشريع المزعزع ، وتمهد لنتائج وأحوال مضمونة كل الضمان ومؤكدة كل التأكيد .. !

أجل ! ولعلك تعجب كذلك من ندرة البحوث التى يقدمها الكتاب والمحاضرون للرأى العام فيما بين الآن والآخر متعلقة بذلك الشأن ، ودائرة على الخصوص حول التجريح وإظهار العيوب ! ! كأنما الموضوع مقدس لا يجوز الاقتراب منه ! أو كأنما هو ضئيل الشأن فى حياتنا المادية والمعنوية فلا ضرورة للاهتمام به ! ! أو كأنما هو سر من أسرار الدولة لا داعى لإشراك الرأى العام فيه ! !

أجل ، ولعلك تقول معى الآن إن النهضات الكبرى التى

---

(١) من حديث لجلالته رحمه الله تشرف بسماعه منه الأستاذ العروسى وورد فى أول كتاب « فى التربية والتعليم » للأستاذ

(١) فمثلاً نشر التعليم بين الطبقات الفقيرة يقلل فيها الجرائم والأمراض فتقل بالطبع نفقات المحاكم والمستشفيات والسجون ... ومثلاً بناء منازل صحية للقرويين قبل غرس مبادئ الصحة فيهم لا يؤدى إلى أكثر من استبدال بيت ببيت ! !

(٢) تحررت ألمانيا من بطش فرنسا عن طريق إصلاح مدارسها وانتصرت إنجلترا فى الحرب العظمى عن طريق ملاعبها ! !

ازدانت بها صفحات التاريخ لم تقم إلا على أساس من النقد الذي هدم البالي وأقام الجديد ، وأننا في نهضتنا وظروفنا الحاضرة محتاجون كل الاحتياج إلى هذا النقد الحر النزيه ، وإلى سعة في الصدر تسمح به وتشجعه وتقابله بالكثير من الهوادة والرفق ، وتصفح عما قد يتعرض له من خطأ وشطط ... !

قالوا وما زالوا يقولون : لنستر العيوب لنستر العيوب ! وأقول وما زلت أقول : وماذا بعد ستر العيوب ؟ وما جدوى السير في طريق شائك نهايته تعسة إذا كانت القافلة التي تسير فيه هي قافلة الأمة ؟ ! على أني لست أذهب في التشاؤم إلى هذا الحد فأدعي أن تعليمنا شائك كله ونهايته تعسة كلها ؟ ! بل إنه لمن الخير أن أسجل بمداد الفخر أننا قد بدأنا نلمس الضعف منذ أعوام ونعمل على إصلاحه ، فراحت وزارتنا تطلب رأي الخبيرين ، وراح أحد وزرائنا يكتب بنفسه في التعليم الثانوي ، وأقيمت بالفعل مدارس جديدة ، وأدخلت إصلاحات مهمة وخطيرة . هذا إلى ما يُدرس الآن تمهيداً لاعتماده وتنفيذه... وتلك ولا ريب باكورة طيبة تذكر بالشكر لرجال المعارف ويرجى منها خير جزيل . وما دام الأمر كذلك فلا مندوحة لنا كرجال تربية من معاونة الوزارة في مهمتها بتقديم آرائنا وتجاربنا وكل ما نملك من قول أو فعل يحقق للوطن أمانيه وينجيه من عيوبه وأمراضه ...

فترى ما هي هذه العيوب وتلك الأمراض ؟ كل منا يستطيع أن يذكر الكثير من ذكرياته كطالب ومن تجاربه كمعلم ، وكل منا يستطيع أن يقرر أن ماضينا كطلبة ملئ بألوان من التربية لا تتفق وتلك الأصول التي قدمناها في كثير ولا قليل ، ولا تصلح إلا لأن تكون ذكريات مرة فيها ما يضحك ويبكي ويؤلم ويؤسف(1) ، وكل منا يستطيع أن يقرر أن حاضره كمعلم مشوب بأساليب من النقص بعضها هين يسير وبعضها ثقيل عسير . ومن اشتغل منا « بالتعليم الحر » أو درسه عن كثب يستطيع أن يقدم للقراء قصة فيها من المآسي والفواجع ما يثير التقزز والاشمئزاز ويبعث على الأسف والرثاء(2) ؛ ولقد كنت أعد نفسي وأنا — أكتب مقدمتي للقراء — لمثل هذا النقد البريء ، فوقعت في يدي رسالة حديثة صغيرة بالإنجليزية لأحد أساتذة المعهد(1) وهو الدكتور « جاكسون » ، تناول فيها بعض نواحي التربية في مصر بالنقد الحصيف والاقتراح الصائب ، فأعجبت بها كل الإعجاب ، وشعرت أنها قد ذكرت الكثير مما كنت أريد وزادت عليه ، ولذلك لم أر بداً من تلخيصها والتعليق عليها وتقديمها لقراء العربية كنظرة عامة جادت بها قريحة إنجليزي خيِّر خدم التربية في مصر ودرسها عن كثب ، وأبى إلا أن يرد لهذه البلاد العزيزة فضلها عليه بشيء من النقد والإرشاد

فإلى اللقاء إذاً حيث نستعرض هذه النظرة ونتبعها بأخرى . وإلى اللقاء حيث أسمعك ما قد يصلني من إجابات حضرات رجال التعليم من مفتشين ونظار ومعلمين على الأسئلة الآتية :

١ — ما هي أهم عيوب التربية المصرية في العصر الحاضر ؟

٢ — وما هي الأغراض التي يجب أن تتوخاها التربية المصرية حتى تحقق للوطن أمانيه الجديدة ؟

٣ — وماذا يروقك في ماضي التربية وحاضرها ؟(2)

« يتبع » محمد حسني ظاظا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(1) وحسبك أن تذكر هنا العصا والحبس وغيرها خصوصاً إذا كنت قد أمضيت صباك في غير مدارس الحكومة

(2) ولا وجود بالطبع لمثل هذه القصة في الجمعيات المحترمة التي لا تبغي الربح بقدر ما تبغي خدمة الأمة . وقد شربت بنفسي الكأس المرة في إحدى الجمعيات « الأخرى » وأطمع أن أعرض على القراء في الفرصة المناسبة قطرات منها ليعلم من يريد أن يعلم أهي جمعية للدين ونبل الأخلاق أم هي عصابة لسلب المال عن طريق مستور !!

(1) معهد التربية

(2) أكون شاكراً كل الشكر إذا تكرم حضرات رجال التربية بردود مختصرة على هذه الأسئلة

محنة الآنسه « مي »

للأستاذ عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

عزيزي صاحب الرسالة

سلام الله عليك ورحمته . وبعد فقد ذكرتم في العدد ٢٣٨ من (الرسالة) الغراء تماثل النابغة الآنسة (مي) زيادة من مرضها الذي لازمها نحو عامين ، وبشرتم أهل العلم والفضل بهذه البشرى التي أثلجت الصدور وأقرت الأعين ، فقمتم بعملكم هذا بحق الأدب عن كل أديب جزاكم الله خير الجزاء

ولكن قارئ هذا الخبر يظن أن الآنسة (مي) كانت حقيقة مريضة في لبنان وأنها الآن في دور النقاهة ، مما يخالف الواقع ويسدل ستاراً كثيفاً على المأساة التي أراد بعض من لا أخلاق لهم أن يمثلوها ويحولوا بين هذه العبقرية وبين ما كانت تنثره من الدرر الغوالي وتبديه من الأفكار النيرة وتخدم به المجتمع العربي

وأظنكم لا تضنون على قادري قدر (مي) وعارفي فضلها بإزاحة ذلك الستار الأسود عن تلك النفوس المريضة والوجوه السود التي قذفت بأرق شخصية أدبية في المارستان ثم بالمستشفى تحت جنح الظلام ومنعتها من الاختلاط بالناس فجعلوا منها ميت الأحياء

وعلى هذه العقيدة أكتب للرسالة الغراء — لا لك ولا لي ، ولكن للحقيقة والتاريخ — عما أصاب (مي) من المصائب ، وانتابها من النوائب ، في خلال السنتين المنصرمتين حتى عادت شبحاً من الأشباح تنقم على البشرية الظالمة وتعتب على جيرانها الأقربين ، وخصوصاً سيدات العرب اللاتي انتصرت لهن في كل مواقفها . وإلى القارئ العزيز فصول هذه المأساة وله أن يحكم بنفسه في أي عصر من عصور المدنية نحن ؟ وما هذا الذي يجري في معاهد العلم والفن من المآسي والمخازي التي تشيب لهولها الولدان وتضطرب الأفئدة ؟

لا شك في أن كل أديب وأديبة في لبنان ومصر وفلسطين وسورية والعراق وجميع بلدان العرب يعرفون فضل (مي) على النهضة العلمية عامة والنهضة النسائية خاصة ، ولكنهم ربما لا يعرفون أين نبتت هذه الزنبقة العطرة ، فرأينا أن نقتضب من سيرتها ما تجب معرفته

الآنسة مي هي ماري ابنة المرحوم الأستاذ إلياس زيادة من عرمون غزير في لبنان الذي كان مسقط رأسها ومنبت غرسها كما كانت مصر التي انتقلت إليها مهبط أنسها ومهوى نفسها

وهناك في بلد العلم في العالم العربي بدأت حياتها الجدية المفيدة فنشرت كتاب باحثة البادية [1] وهو بحث انتقادي طبع سنة ١٩٢٠ثم عززته بثان وثالث هما ابتسامة ودموع أو الحب الألماني طبع سنة ١٩٢١ ، وكلمات وإشارات وهو يحتوي على خمس عشرة خطبة ألقتها في مناسبات مختلفة وهو أول كتاب جمت فيه خطب سيدة شرقية عربية وقد طبع سنة ١٩٢٢

ثم كتاب بين الجزر والمد ، ودمعة وابتسامة ، وظلمات وأشعة ، وقد طبعت جميع هذه الكتب في سنة ١٩٢٣

ثم كتاب الصحائف الذي طبع سنة ١٩٢٤ وكتاب سوانح فتاة والمساواة ، غير الأبحاث الناضجة والآراء الاجتماعية الصائبة التي كانت تنشرها في المجلات والصحف حتى وصلت إلى درجة كانت جريدة الأهرام الكثيرة الأنصار الواسعة الانتشار تفتح لرسائلها صدرها وتجعلها أولى مقالاتها

ومما يدل على علو منزلة الآنسة (مي) أن بين الذين قرظوا كتابها (المساواة) الأمير شكيب أرسلان فكتب له المرحوم الدكتور يعقوب صروف أحد صاحبي المقتطف رسالة جاء فيها ما يلي :

« والمساواة مقالات نشرت أولاً تباعاً في المقتطف ثم جمعت وطبعت كتاباً على حدة فراقني جداً وصفكم له ، وأرجح أنها لم تترجم شيئاً ترجمة لأنها تتكلم مي في كل الموضوعات الأدبية والفلسفية كما تكتب ، فإنها قوية الذاكرة إلى حد يفوق التصور ، وقد قرأت كثيراً من الكتب في اللغات التي تحسنها : الفرنساوية والانكليزية والايطالية حتى لقد تستشهد في كلامها مي بأبيات من شكسبير أو بيرون كما تستشهد بالمتنبي والمعري

وحفظت أيضاً كثيراً من قصائد شوقي والمطران وحافظ وأظنها تصوغ معانيها في ذهنها بالفرنساوية والانكليزية قبلما تعبر عنها بألفاظها العربية »

(١) هو الاسم المستعار الذي كانت تستتر وراءه السيدة ملك ابنة العالم المصري المعروف المرحوم حفني ناصف في كتابة مباحثها النسائية

وشاء القدر أن تفقد مى والديها واحداً إثر واحد كما يفقد كل إنسان أبويه فى هذه الحياة ، ولكن مى الشاعرة العطوف الرقيقة الحواس تزلزل منها هاتان الصدمتان قوتها واحتمالها ، وتساورها الهموم والأحزان فتقبع فى عقر دارها تناجى نفسها وتندب حظها بفقد أعز الناس عليها ، فيأتى إليها بعض ذوى قرباها فى ثياب الحمل وهم ذئاب خاطفة ويحملونها على السفر إلى لبنان وطنها الساحر على أمل أن تجد فى جوه الجميل ومائه النمير ومناظره الخلابة وجباله الشم مايرفه عن نفسها الشوبة بالأكدار

وتحقق مى بعمل مخدر سواد ليلة من الليالى فتصبح بياض نهارها بين المجانين فى مستشفى الأمراض العقلية المسمى بالعصفورية فى ضاحية بيروت فتثور ولكن على من ؟ وتستنجد ولكن بمن ؟ إنها أصبحت فى عداد الذين أفقدتهم صدمات الحياة الرشد وأقعدتهم المصائب هـذا المقعد الأليم . وتنقطع مى عن الطعام والشراب إلا ما تسد به الرمق وتستبقى بواسطته الحياة

وبعد أن تقضى السنة فى ذلك المارستان (١) ينقلها أولئك الذئاب إلى مستشفى ربيز فى بيروت ولكن يحوطونها برقابة شديدة ويمنعونها من الاختلاط بأحد لئلا يطلع على ما بيتوا لها من شر مستطير وأعدوا لها من ظلم صارخ فتتم سنة أخرى بين العقلاء الذين لا تستطيع الدنو منهم والتحدث إليهم

ويسعف الحظ فيؤتى بسيدة من آل الجزائرى فى دمشق إلى المستشفى وتوضع فى غرفة مجاورة لغرفة مى السجينة فتسمع (مى) صوت السيدة وهى تتململ فى فراشها من شدة الألم الذى أعقب عملية جراحية فتفتح الباب الموصل بين الغرفتين بجهد وتدخل إلى غرفة السيدة الجريح لمواساتها على تخفيف آلامها وتكرر مى هذه الزيارات ليلاً فى خلسة من الرقباء

وتستأنس السيدة الجزائرية بجارتها الحنون لا سيا بعد أن اندمل جرحها فتسألها عن حالها وسبب مقامها فى المستشفى فتنفجر (مى) بكل ما فى نفسها من آلام وتشكو أمرها وماتقاسيه من عنت الظالمين إلى السيدة التى تألم كثيراً لها وتستمين بأوليائها من الرجال على كشف مظلمتها ويقوم هؤلاء السراة الأمجاد أحفاد الأمير عبد القادر الجزائرى ويعملون على إطلاق سراحها

وينتهى الأمر بتدخل إدارة الأمن العام وإخراج (مى) النابغة من سجنها

فتعود الذئاب الخاطفة التى تخشى أن ترد إلى (مى) حقوقها الشرعية بالتصرف فى أموالها وحليها ومكتبتها الفنية التى وضعوا أيديهم عليها ظلماً وعدواناً ، وتصرفوا بها تصرف المالك فى ملكه اعتسافاً وطغياناً — يعودون إلى مزاعمهم الأولى من اختلاط عقلها وضعف مداركها ويلحون باستشارة أهل الاختصاص من الأطباء ، وتكون النتيجة دعوة طبيبى مستشفى العصفورية وربيز لمعرفتهما السابقة بحالها وطبيبين آخرين ، فتقرر هذه الهيئة الطبية المستشارة أن حالها الحاضرة تبعث على الرضى ، ولكن بالنظر لضعف جسمها يخشى أن تتأثر أعصابها مرة أخرى ، ولذلك يشيرون عليها بقضاء دور النقاهة فى منزل مناسب ببيروت

وتنقل بالفعل إلى ذلك المنزل مى وممرضتها الموكول إليها أمر العناية بها والقيام على حاجاتها ولوازمها

وعقيدة الطبيب فى مريض من مرضى العقول لها تأثيرها فى نفسه ، فهو يظن به الظنون ولا يريد أن يقتنع بصحة مداركه مهما كانت ظواهره حسنة ولعل هـذا هو الذى حدا بالطبيبين المداويين لها قبلا على الإصرار على رأيهما فيها إن لم يكن هناك دافع آخر يدفعهما إلى ذلك التعنت

ويستمع الناس ولا سيا الطبقة المستنيرة إلى ما آل إليه أمر (مى) فيأتون زرافات ووحداناً إلى كعبة الفضل يحجون إليها ويكون فى طليعة هؤلاء الحجاج الكرام صديقنا فارس بك الخورى رئيس المجلس النيابى السورى وقرينته الفضلى . واستمع إلى ما يقوله هذا الرئيس الجليل لمندوب أكبر صحيفة يومية لبنانية عن الآنسة (مى) :

« يمكننى أن أقول بكل صراحة إننى تحدثت إلى أناس كثيرين فى بيروت فلم أر فيهم من هو أعقل من الآنسة (مى) . وأزيد على ذلك أننى سمعت من بعضهم أخطاء لم تفه (مى) بواحد منها . فهى بحالة عقلية تامة ، ولكن صحتها الجسدية ضعيفة جداً

(١) بيارستان كلمة فارسية استخدمها العرب للمستشفى الذى يوضع فيه المرضى والأعلاء ولكنهم اليوم يطلقونه فى بلاد الشام على مستشفى الأمراض العقلية التى أقيم فى بعض المارستانات القديمة ويقولون له مارستان كما عربوه قديماً

ومما قالته لى والألم ينبعث من عينيهـا : « تصور مى زيادة على بعد عشرين دقيقة من بيروت قلب الشرق العربى وعاصمة لبنان الجبل الخالد ومهد الحضارة والنور وأم الجامعات والمؤسسات العلمية ودار الجمعيات الأدبية والخيرية ومركز جمعية النهضة النسائية . أجل تصور (مى) سجينة على بعد عشرين دقيقة من البلد الذى ذكرت »

ثم تلتفت مي إلى السيدة قرينته فتقول لها :

« أهذا ما كنت أنتظره يا سيدتي ؟ أهذه هى المكافأة التى أعدتها لى المرأة الشرقية بعد جهاد طويل ؟ أهذا ما تلقاه الأديبة فى الشرق ؟ »

ولم يقتصر عمل فارس بك على الإدلاء بآرائه إلى الصحف ، بل إنه ذهب وبرفقته الأمير عادل أرسلان إلى ندوة المجلس النيابى اللبنانى وتحدث عن زيارته لمى وعن الأثر المؤلم الذى تركته هذه الزيارة فى نفسه

وشاع ما عوملت به مى من العمل السيء وذاع فى لبنان فراع الناس ما سمعوا وأذهلهم ما قرءوا ، فاندفع أنصار الفضيلة إلى الأخذ بضبعها وشد أزرها ورد عاديات العادين عنها ، وتقدم الجميع المحامي المشهور معالى الأستاذ حبيب أبى شهلا وزير الداخلية السابق فى الحكومات اللبنانية المختلفة ، وتطوع للدفاع عن حقها المهضوم وحريتها السليبة أمام القضاء الذى أقيم لإنصاف المظلوم من الظالم ، والأخذ للضعيف من القوى ، فسر الناس لهذه القضبة المضرية والنعرة الانسانية ، وبدءوا يذكرونها بكل شفة ولسان ، ويكبرون هذا العمل من شخصية كبيرة مشهورة فى الأوساط القضائية والادارية ، وهم على مثل اليقين من حصول القصد ونجاح المسعى لما عرف عن معالى الأستاذ أبى شهلا من قوة الحجة ووفور العلم وصحة المنطق مما يضمن الفوز له فى هـذا المعترك

وبلغ أمر مى إلى أسماع الفلسطينيين الذين يجاورون هذه النابغة ويجلونها ككل عربى فقامت أقرب مدينة من فلسطين إلى لبنان وهى عكا تثأر للفضيلة وتنتصر للعلم والأدب وتقـدمت بواسطة الهاتف رسالة إلى المحامى الأستاذ حبيب أبى شهلا على يدى كاتب هذه السطور هذا نصها : —

إن محدثكم الآن وحوله جماعة من أدباء وعلماء هذه المدينة التاريخية عكا يتوجهون بخالص الأمانى وكبير الرجاء إلى الوزير الذى لم تبطره النعمة ولم تعنه من الدفع عن المظلومين لتتولوا بما عرفتم به من الهمة المشكورة والنعرة المحمودة الدفاع عن مفخرة أديبات العرب فى القرن العشرين ونابغة النساء فى الأقطار العربية الآنسة مى زيادة

إن إنقاذها من هـذه الكارثة يسجل لكم يداً كبيرة مشكورة بيضاء فى خدمة الأدب العربى واللغـة العربية فنرجو أن يحقق الله على يديكم هذه المبرة العظيمة لنهضة النساء فى هذا الشرق العربى المتطلع إلى المستقبل الباسم بهمة أمثالكم وتقبلوا تحياتنا فى هذه المدينة ...

ومما أذكره عن (مى) أني كنت فى بيت المقدس فى أوائل سـنة ١٩٢٣ فجاءته الآنسة (مى) زائرة دارسة وراح الأدباء والفضلاء للترحيب بها والتعرف إليها ، وقصدت أنا ورفيق لى إلى زيارتها فى النزل الذى نزلت فيـه فلم نجدها إذ ذاك ، وفيما نحن عائدون قال لي صاحبي وهو يحاورني : أتدرى أن علم (مى) جنى عليها ؟ فقلت له : أفصح عما فى ضميرك فيظهر أن للكلام بقية . فقال : أنا أحد الذين كانوا يرون السعادة كل السعادة فى الاقتران (بمى) لما وهبها الله من الخلق الجميل والصفات الطيبة ولكنى كنت أرى أن مستواها العلمى فوق مستواى فلم أجرأ على طلب يدها . قال : وكان لى أمثال كثيرون ولكنهم كانوا يرون رأيي فيها وكنا حين نلتقى بمى النابغة نشعر بعاطفة الاكبار والاجلال لآدابها الرفيعة

والذى قال لي هذا القول لم يكن من عامة الناس بل هو من خريجي الجامعة الأميركية ومن أصحاب الثروات الطائلة والذين أثروا فى الحياة الاجتماعية والمدنية ، ولكنه كان يرى نفسه دونها فى العلم والفضل ويعترف بذلك ، فانظر ماذا كان مصير هذه العلوم والفضائل بين أعدائها الألداء ، عاملهم الله بما يستحقون وأذاقهم عذاب الهون

عبد الله مخلص

التاريخ فى سير أبطاله

ابراهام لنـــكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ٤ —

يا شباب الوادى ! خذوا معانى العظمة فى نسقها الأعلى من سيرة هذا العصامى العظيم



وماذا يصنع وقد خـذل فى الانتخاب وآل الحانوت إلى ما آل إليه جزاء بما فعل صاحبه ؟ الحق أنه ألقى نفسه فى مأزق ولعله كان يندم بينه وبين نفسه أن ترك حياة الغابة ... ماذا يصنع ابراهام ليكسب قوت يومه ؟ ليس أمامه الآن غير التجارة ، لذلك اتخذ له شريكاً واشترى ما بقى من الحانوت من ذلك الرجل الذى اشتراه من قبل وعاد يبيع الناس من بضاعته ، وقد حمل العبء كله إذ كان صاحبه لا يكاد يفيق من سكره . على أنه كان عبئاً هيناً إذا كان البيع قليلا لقلة البضاعة ولقلة المشترين . وكان فى البلد حانوت آخر سطا عليه أولئك الفتية المعتدون لما شجر من خلاف بين صاحبــه وبين زعيمهم آرمسترنج ، وعرض صاحب ذلك الحانوت بضاعته للبيع فاشتراها ابراهام ، ولـكن بطريق الدين ؛ كتب على نفسه مائتين وخمسين دولاراً وعد بدفعها حين يتيسر له ذلك ... ولـكن صاحبه لا يكاد يفيق من سكره فهو كلٌ عليه أينما يوجهه لا يأت بخير ؛ وليس لدى أبيسال ليدفع إليه نصيبه ويخلص منه .

وأراد الله أن ييسر له أمره بعض اليسر ، فاختير حامــلا للبريد فى تلك الجهة ؛ اختاره القائمون بالأمر لما علموا من أمانته ونشاطه ؛ وفرح ابراهام بما ساقه الله إليه ، فقد حاقت الخسارة بالتجارة وخرج منها بدين أثقل كاهله كان يسميه لفداحته بالنسبة إليه الدين الأهلى ! ... فرح ابراهام بعمله الجديد وأقبل عليه فى همة إذ أتاح له ذلك العمل أن يتصل بالناس وأن يتعرف أحوالهم ويدرس طبائعهم من قرب ، وهو كلف بذلك حريص عليه يريد به أن ينفذ إلى أعماق النفس كما هو شأنه فى كل ما يعرض له . وحبب إليه ذلك العمل ، فوق ما كان من اتصاله بالناس ، ما مهده له من سبل القراءة ، فهو يقرأ الصحف قبل أن يعطيها أصحابها ، وهو يلتهم الكتب فى ساعات فراغه التهاماً . وكان أكثر ما يقرأ يومئذ كتب القانون ، ولعله كان ينوى أن يتخذ المحاماة عملاً له ، فلقد كان الناس يأتونه ليحكموه فيما يشجر بينهم من خلاف ، وهو عندهم القوى الأمين ؛ لا يتحيز إلى شخص أو فئة ، ولا يتعثر فى أمر ، ولا يسمح لأحد أن يلبس أمامه الحق بالباطل ، كل ذلك فى رفق ودراية ولباقة ... وكان إذا عرض له أمر رده إلى ما عرف من القانون ليتبين وجهه ، أو أفاد من دراسته وبحثه علماً جديداً . وقد ألقت الأقدار إليه ذات يوم كتاباً فى القانون يقع فى أربعة أسفار عثر عليه كما يعثر على كنز . وبيان ذلك أنه اشترى بثمن بخس من رجل انتوى الرحيل بعض متاعه ، وكان صندوقاً به أوراق ، قلبه فعثر فى قاعه على كنزه وهو كتاب « نظرات فى تاريخ انجلترا » لمؤلفه بلاكستون ، وكان من أشهر ما كتب فى القانون فى تلك الأيام !

وهو يعيش اليوم على راتبه الضئيل من عمله فى البريد ومما كان يرسله الناس من قوت إلى الأسرة التى كان يقيم بينها نظير ما كان يقدمه إليهم من نصح أو يسوى بينهم من خلاف . وإنك لتلمح شخص المحامى الناشئ فى شخص عامل البريد هذا ... على أنه تقدم فعلاً ليدافع عن بعض الناس أمام المحلفين فى بعض

الجلسات القضائية فى تلك الجهة . وعرف بسداد الرأي وقوة المعارضة ومتانة الحجة ، وما وقف يدافع يوماً إلا عما يعتقد أنه الحق

ومست قلبه فى تلك الأيام لذعة من الألم ، فقد ألم به ما يلم بالشباب من علل الشباب ، وانعقدت أمام بصره سحب قاتمة من الهم كان مبعثها ما دب فى قلبه من أمل جديد نحو آن ابنة صاحب الخان ، فلقد علم ، وهو صاحب البريد ، أن فتاها انصرف عنها ونسى ما كان بينها وبينه لما نزل بأبيها من فاقة ، وخيل إلى أيب أنه اليوم يستطيع أن يصل إلى قلبها ، لولا مزاحم جديد يُدلُّ عليه بماله وهو لا يدانيه فى كفاية ولا خلق ... على أنه فى خجله من النساء لا يعرف ما يأخذ مما يدع ، فهو فى حيرة من أمره ، وهو كما علمت متقد العاطفة موفور القوة مشبوب الخيال ، وذلك ما صور له طيوفاً من الشجن أخذت تتزايد حتى ليضيق بها قلبه ويكاد الأمر أن يصل به إلى القنوط . روى عنه أنه قال لأحد خلانه : « ربما ظهر منى حيناً أ كون فى رفقة أنى أستمتع بالحياة فى نشوة ، ولكنى إذا أويت إلى عزلتى أخذتنى غالباً حال من الهم حتى لا أجرؤ أن أحمل مدى مبراة »

وللشباب هواجس وأحلام يحار المرء فى تفسيرها وتعرف مصدرها ، فهى من خفايا النفس الإنسانية ، وكثيراً ما ينقبض المرء وهو فى حال من الرضا أو هو فى مثل حال الرضا ... هل كان مرد همه إلى طموح نفسه وتوثب همته ؟ أم كان ذلك إلى نوازع قلبه وهواجس خاطره ؟ هل كان أيب يحب آن حقاً كما يكون الحب ، أم أن إحساسه بما ينقص قدره فى أعين الفتيات كان هو مبعث هواجسه ومدعاة زلفاه ؟

إن فى انصرافه إلى عمله وهو يحمل الخطابات فى قبعته من دسكرة إلى دسكرة ما يلهيه بعض الوقت ، وإن له فى الكتب لعزاء وسلوة : له فى شكسبير وبرنز ما تأنس به روحه ويثلج خاطره ، وله فى تراجم العظماء — وقد كان مقبلا عليها — من معانى السمو ومواقف البطولة ما يبهج نفسه ويثبت قلبه

وأضيف إلى عمله فى البريد عمل آخر دله عليه أحد خلصائه وهو تخطيط الأرض ورسم الصورات للطرق الجديدة التى كانت الحكومة تنشئها وتوضح معالمها للناس ليهتدوا بها فى مسيرهم فى تلك الأصقاع . ولقد حذق ابراهام هذا العمل الجديد وسار بعد توزيع البريد — وهو قليل — يحمل منظاره ولوحته وقلمه ويتنقل بين الأحراج يرسم الطرق ، وكان يأتى ذلك بما عرف عنه من الدقة فى كل ما يعهد به إليه ... ولكن الدائنين لم يدعوه فيما هو فيه ، فأقبل أحدهم وباع جواد ابراهام وسرجه ولجامه فى مزاد نظير ماله ؛ وقد عزّ على ابراهام أن يشهد هذا البيع فابتعد حتى يتم ؛ ولكن صاحباً له يدعى جرين تقدم فدفع المال المطلوب وخلص له الجواد ولقيه فقال له : « رد لى هذا المال حينما تصبح قادراً على ذلك ، فإن لم تقدر فلا عليك منه ياصديقى » وأراد بعض الدائنين أن يبيعوا تلك الأدوات التى يقتات من العمل بها فجمع لهم بعض ذوى المروءة من أهل الجهة ما كانوا يطلبون من المال وأعفوا أدوات صاحبهم من ذلك البيع . ولقد مات جرين بعد حين وقام ابراهام يرثيه فاستعصت عليه الكلمات ولم يجد لديه غير الدموع

وجاء موعد الانتخابات وتقدم ابراهام من جديد يقدم نفسه للناس ، وكتب له النجاح هذه المرة ؛ وذهب ليتخذ مقعده فى مجلس الينويس نائباً عن جهة سنجمون وكان المبدأ الذى نجح عليه هو مبدأ الهوجز إذا أردنا السياسة ، وهو مبدأ الفضيلة والنبل والسمو إذا أردنا الخلق ...

ذهب عامل البريد ومخطط الأرض إلى حيث يجلس مع المنتخبين ، وإن له فى السياسة لشأناً بعد حين . هو الآن فى الخامسة والعشرين وقد اختاره الناس لما خبروا من خلاله وما رأوا من من سعة اطلاعه ورجاحة عقله ؛ ولكنه فقير فكيف يذهب فى ملابسه البالية إلى المجلس ؟ ... اقترض ذلك الشاب المدخر لرياسة أمريكا فى غد — بعض النقود فاشترى حلة جديدة وذهب إلى فانداليا عاصمة الينويس فاتخذ مكانه بين ممثلى الولاية ... جلس يدرس ويفكر ، لا تفوته عبارة ولا تفلت منه قضية ، وكانت مشكلة العبيد تشغل بال الناس يومئذ فى وضع من أوضاعها ، كما كانت تشغل بالهم أمور أخرى تنحصر فيما كانوا يتوخون من وجوه الإصلاح فى التجارة والصناعة وسبل الاتصال . اتضح من خلال إبراهام فى المجلس ما عطف عليه القلوب ، فقد رأى منه زملاؤه الإخلاص والحماس فى غير تعصب ، فهو يدافع عما يعتقد أنه الصواب أو الحق فى قوة وفى إصرار يشبه العناد ، حتى إذا تبين له أن الحق فى جانب مجادله سلم له فى سرعة تسليم

الرضاء والغبطة . ورأى منه زملاؤه فوق ذلك قوة فى التعبير عما يريد كان مبعثها حسن اختيار اللفظ أو كان مبعثها لقانة توانيه بالـكلمة المطلوبة لا تزيد ولا تنقص . ولقد أعجبوا منه بتلك الخلة التى ستكون فى غد جانباً من أهم جوانب زعامته ... وأنسوا منه خارج المجلس إلى خلة أخرى من خلاله اشتهر بها منذ كان فى الغابة ، تلك هى تلاوة الحكايات ، فهو ما يفتأ يقص عليهم من قصصه ما يطربهم ويعجبهم

وكان ابراهام يزور نيوسالم كلما سمح له وقته بزيارة . وهو اليوم يحب آن كما يكون الحب . أكبرت صفاته وأعجبت برجولته وصارت لا تعدل به غيره ؛ ثم أحبته وليس بعد الحب رابطة . وألفى ابراهام نفسه — وهو من عرفت قوة عاطفة وصحة وجدان — فى ربيع العمر حقاً ، لا يرى حوله إلا جمال الربيع ونشوة الربيع ، ولا يحس إلا سر الربيع ووحى الربيع ، يروح ويغدو مع صاحبته وكأنهما من فرط مرحهما طائران من طيور الخمائل ... ولـكن وا أسفاه ! لن يطول هذا الربيع ، بل إنه لينقلب إلى جحيم فى سرعة خاطفة ! ... نزلت الحمى كما نزلت من قبل فى كنتوكى فكان من ضحاياها طائره الجميل ! وغدا ابراهام يرمض الحزن قلبه ويأكل الجوى أحشاءه ... وتلك هى الصدمة الثانية بعد فجيعته فى أمه تحل به ، فكأنها الضربة تأتيه فى مقتل ! لقد وهنت عزيمته وخارت قوته وذوى عوده ، وصار الناس يرونه أحياناً هائماً على وجهه وهو يهذى كأن به جنة ، حتى نصح له طبيب أن يرحل ، فنزل ضيفاً عند أسرة صديقة كانت تقيم فى مكان بعيد عن نيوسالم ، ولـكن همه ذهب معه إلى هناك حتى لقد شاطره الحزن ذات ليلة نفر من جلسائه حين سمعوه يصرخ من أعماق قلبه : « لا أطيق أن أذكر أنها ترقد هناك وحدها حيث ينزل المطر وتصخب العاصفة فوق قبرها » ولـكم قطع من الأميال مرات بعد ذلك على قدميه ليحج إلى ذلك القبر ويبلله بدمعه !

ولـكن اليأس يسلمه ثانية إلى الحياة حيث لا حيلة فى البلوى ولا معدى عن الحياة ... ويحين موعد الانتخابات مرة ثالثة فيتقدم فيفوز وقد ازداد الناس محبة له كما ازدادوا له إكباراً بقدر ما اكتسب من خبرة فوق ما سلف من خبرته ، وأظهرته الانتخابات هذه المرة للعامة خطيباً كأحسن ما يكون الخطيب ، قام يحمل عليه أحد خصومه من الحزب الديمقراطى ، وكان قد حصل بتغييره مبدأه على مرتب سنوى غير قليل ؛ وقد علم الناس أنه كان يقيم فى منزل أنيق فى سبرنجفيلد فى قمته تلك الحديدة التى يضعونها هناك لتمنع الصواعق . ولقد أسرف ذلك الخصم فى الطعن على ابراهام وأعلن أنه يريد أن يحط من قدره فى نفوس الناس . فوقف ابن الأحراج ورد عليه بقوله : « رأى هذا السيد أن يشير إلى حداثة سنى ، ولقد نسى أنى أكبر فى العمر منى فى ألاعيب الساسة وتجارتهم . إنى أود أن أعيش كما أود أن أرقى وأن تلحظ مكانتى ، ولـكنى أفضل الموت على أن أحيا فأرى اليوم الذى أفعل فيه ما فعل ذلكم السيد ، فأغير مبدئى من أجل ثلاثة آلاف دولار فى العام ، وأرانى بعد ذلك مضطراً أن أقيم على رأس بيتى مانعة للصواعق لأحمى ضميراً آثماً من غضب رب أسأت إليه »

وإنك لتتبين مهارته السياسية فوق ما تلمح من صفاته فى هذا الخطاب الذى أرسله إلى أحد رجال الحزب الديمقراطى .

كتب لنكولن (1) « أنبئت أنك أذعت فى النـاس أثناء غيابى فى الأسبوع الماضى أن لديك حقيقة أو حقائق لو اطلع عليها الناس لقضت نهائياً على أملى وأمل ن . ادوارد فى حركة الانتخاب القائمة ، ولـكنك تأبى عليك مجاملتك إياى أن تعلنها . وأنا أقول لك إنه ما من شخص يطلب الجميل أكثر مما أطلب ؛ كذلك قل فى الناس من يقبل الجميل كما أقبل ؛ ولـكن الجميل إلى فى هذه الحال معناه الجور فى حق الناس ؛ ولذلك فإنى أستميحك أن تنصرف عنه . إن حيازتى ثقة أهل ستجمون ذات مرة أمر واضح ؛ فإذا كنت قد أتيت أمراً من شأنه إذا عرف أن يحرمنى تلك الثقة ، سواء كان إتيان ذلك الأمر عن إصرار أو عن خطأ فإن الذى يعرف هذا الأمر ثم يخفيه إنما يخون صالح بلاده . وأنا لا يقوم فى ذهنى شىء عما عساه أن تكون الحقيقة أو الحقائق التى تتحدث عنها واقعية كانت أو مزعومة ؛ بيد أن ما أعهده فيك من الصدق لا يسمح لى برهة أن أشك فى أنك على الأقل تعتقد ما تقول . إنى أرانى مديناً لك بهذا الاعتبار الشخصى الذى أظهرته نحوى ، ولـكنى آمل أن ترى إذا تأملت من جديد أن صالح الناس أهم من ذلك . وعلى هذا فلا تتحرج أن تعلن الحق . وأؤكد لك أن ذكرك ما لديك من الحقائق فى صدق وأمانة لن يفصم ما بينى وبينك من عرى الصداقة . هذا وإنى أرجو أن

(1) Speeches and Lettere of Abraham Lincoln P. 2.

يأتيني رد منك على هـذا ولك الحرية أن تنشر الكتابين إذا أردت » .

اقرأ هذا الخطاب تر كيف ملك إبراهام قلوب الناس بأمانته وإخلاصه ودماثته . ثم انظر إلى قوة حجته وروعة منطقه ودهائه؛ وتأمل في أدبه وتحشمه وهو يرد الاهانة عن نفسه .. تلك لعمري خلال أحرار الشمائل وعظماء الرجال ...

فاز لنكولن في الانتخاب وحق له أن يفوز . ولقد خطب الناس مرة فكان مما قاله : « سأسعى أن يفوز جميع البيض من يدفع منهم ضرائب ومن يحمل السلاح بحق الانتخاب (لا أستثني من ذلك النساء بأي حال) فاذا انتخبت فسأعتبر أهل سنجمون جميعاً هم مرسليّ سواء من اختاروني منهم ومن لم يفعل ، وحينما أعمل في المجلس كنائب عنهم سوف أصدر في عملي عن إرادتهم في كافة الأمور التي أستطيع أن أعرف إرادتهم فيها ؛ وفي غير ذلك سأسير وفق ما يمليه على تقديري مراعياً مصالحهم أبداً »

ذلك هو دستور لنكولن وتلك هي أخلاقه في مجال السياسة ذلك المجال الذي سينضج فيه شخصه وتكتمل رجولتـه وتبرز مواهبه وتسفر مظاهر عبقريته . كان له في المجلس أصدقاء منهم ثمـانية كانوا مثله في طول القامة ، ولقد كانوا يجلسون رفقة يتحدثون ، فعرفوا باسم التسعة الطوال ، ولكن ابراهام كان أطولهم باعاً في المعرفة وأعلاهم مقاما في الخلق ، فلقد ظهرت صفات ابن الغابة لهم في وضوح ، فهم معجبون بدماثته وأناته وبعد نظره ، وهم مفتونون ببلاغته وأسلوبه في الحوار والمجادلة ، وهم يغبطونه على سعة صدره وشجاعته وصراحته ، يحمدون له رقة عاطفته وشفقته وسلامة طويته ، وهم فوق ذلك يلذهم حديثه وتطربهم أقاصيصه ويأسر قلوبهم تواضعه وأدبه وسذاجته

وإنه اليوم ليقرأ قراءة منظمة فقد مرّ العهد الذي كان يتناول فيه أي كتاب يصادفه . هو اليوم يقلب صفحات التاريخ فليس ألزم منها لرجل السياسة ؛ وهو يستزيد من القانون نصوصه وفقهه ؛ وهو يدرس أحوال أمريكا من شتى نواحيها ؛ يطيل النظر في تاريخ ساستها ويتأمل في مناهجهم في الاصلاح وأساليبهم في توطيد سياستهم ؛ يستوعب ذلك كله ليسير على ضوئه فيما هو مقبل عليه . ومما استرعى اهتمامه يومئذ مسألة العبيد وتاريخها وتطورها ومكانها من السياسة العامة

يتخذ اليوم ابراهام لنكولن مكانه للمرة الثانيـة في مجلس مقاطعة النيوس وهو في السابعة والعشرين ، ولا يدري هو ولا من يحيطون به من ممثلي الجهات في ذلك المجلس ماذا يخبئه الغد لذلك الرجل الطويل القامة ، عامل البريد ، مخطط الأرض ، ابن الأحراج ، ربيب العسر والفاقة ومحن الأيام !

(يتبع) الخفيف

من والد إلى ولده

للأستاذ محمود خيرت بك

المهندس الشاب أبو بكر خيرت ، ولد صديقنا الشاعر محمود بك خيرت ، هدية من هدايا النبوغ لمصر . تخرج في هندسة العمارة من مدرسة الفنون الجميلة العليا باريس بدرجة التفوق والامتياز ، ثم بهر بأعماله الفنية رابطة المهندسين فى فرنسا وانجلترا فنحوه الجوائز والأنواط تقديراً لنبوغه ؛ وتقدم إلى المسابقة التى اقترحها بنك مصر لفندقه وعمارته فى ميدان ابراهيم بالقاهرة فأحرز قصب السبق على ثلاثة وعشرين مهندساً عالمين من أجانب ومصريين وفاز بالجائزة الأولى الممتازة ، وكرمه المهندسون المصريون وعلى رأسهم معالى حسين سرى باشا ، فهز كل أولئك من شعور أبيه فعبر عن سروره بولده ، واعترافه للبنك ، وشكره لله ، بهذه القصيدة:

أين حُسن الربيع فى إقبالِهْ ... تَتَمَشَّى مِن الصَّفا فى ظلالِهْ
وابتهاجُ السماء والبدر سارٍ ... يتهادى فى هالةٍ من جلاله
واهتزازُ الغصون تشدو القماري ... فوقها شَدْوَ زاخرِ الشوق وَالِهِ
وابتسامُ العروس فى ثوبها الشَّـــفِّ تبدَّت أعطافُها من خلاله
أين هـذا من مُنتدًى غَمَرَتْه ... نشوة البشر يوم عيد احتفالِهِ
كرّموا فيه صفوةً من شبابٍ ... هام بالفن وارتوى من زلاله
وفتًى منهمُ عرفناه لمّا ... أحرز السبق رابضاً فى مجاله
والدّجى مظلم الجوانبِ إلاّ ... إن بدا فى السماء وجهُ هلاله
كان للفن من حضارة مينا ... والأُلَى قد سروْا على مِنواله
روعةٌ تسحر النفوس ومعنًى ... يفتن المعجَبين سحرُ جماله
إنما كرّت الليالى عليْه ... فطوتْه موسّداً فى رماله
لا نرى حسنه البديعُ ولا نَلْـــمَسُ من مجده سوى أطْلاله
كالأسير الهزيل تنكره العَـــيْن وتبكي عليه فى أغلاله
آن أن يرسل الزمان إليه ... مِن بَنيه من حَلَّه مِن عقاله
بَعثَ الفنَّ من ثراهُ أبو بكـــرٍ وأوفى على نواحى كمالِهِ
كان بَرًّا ومَن أحنُّ على الفـــنِّ طواه الزمان من أشباله
أين شوقى وأين حافظُ كانا ... ينظمان الجُمان فى رئباله
يافتى مصرَ مَن بِمدْحك أولى ... مِن أبٍ أنت ذخره فى اكتهاله
كم جَرى دمعهُ على عارضَيه ... هاطلا كالسحاب فى تَهطاله
يوم آثرتَ الاغتراب لكيما ... تأخذَ العلم ناجحا عَن رجاله
كان من نفسك الشّجيّة أشهي ... من حبيب شجاكَ يومُ وصالِهِ
تتقرّاهُ عند كل صباحٍ ... وترى إن غفوْت طيف خياله
شارداً لا يقرّ جنبك إلاّ ... إن رشفت العتيق من جِرْياله
فتنقَّلت كالهلال وهل يصـــبح بدراً إلا بفضل انتقاله
لم يكن مسرفا أبوكَ لدى الظَّـــنِّ ولا كان سابحاً فى ضلالِهِ
يوم ألفاك وحدةً لجلال الفـــن تُحيي الرثيث من آماله
فلقد شاءت المقادير أن عُد ... تَ إليه وأنت مِن أبطاله
والذى يعشق العلى يسهر اللَّيْـــل طويلا وجدّه رأس ماله
ذاكَ فضل أفاضه بنك مصر ... هو بعض الطَّريف من إفضاله
كل يوم نرى له حَسَناتٍ ... نخرهُ أنّها صَدى أعماله
وينمّ العبيرُ عَن عاطر المسْـــكِ وكسْبُ السّباق عَن خيّاله
أنت يا بنكُ للكنانة عصر ... ذهبيٌ يجرّ ذيل اختياله
كنتَ للنّيل مطلع استهلاله ... ورأيناك غاية استقلالِهِ
قُمت بالعبء أنت وحدكَ لا يأ ... ويك عنه الثقيل من أحماله
ومَهرت البلاد صرحاً سيبقى ... المدى شامخاً على أمثاله
شاهداً أن مصر فيها شبابٌ ... لا يُدانيه غيره فى نضاله
قد كسبتَ الرضى من الله والنا ... س وكنتَ المشكورَ فى أفعاله

محمود خيرت

وحى الشاعرية

للأستاذ حسن القاياتى

١ — الدينار فى الطبق

هى فتنة بنضارة الأفْقِ ... فتألَّقى ياأنجم الغَسَق
تهدى إليَّ البدرَ هَالتُهُ ... كتحية الدينار في الطبق



أقصوصة من بول هيس (١)

جنـــون ...

للأستاذ دريني خشبة

كان الصبح يتنفس عليلاً فى الأفق الشرقى ، وكان الفيزوف ينفث دخانه فينعقد سحاباً طويلاً داكناً فوق نابولى والقرى المجاورة ، وكان البحر النائم ملقياً رأسه الجبار على أواذىّ سورّنتو ، حيث انتشر الصيادون فوق الشاطىء وفى الماء وفوق الزوارق يعملون ويدأبون ، لا فرق بين شيبهم وشبابهم ، وكانت النساء يرفرفن فوق الأسطح القريبة كالأعلام المنَشرة يؤدين أعمال الصباح ... وكان الكل مبتهجاً سعيداً ولاسيما الفتى البحار أنطونيو الذى وقف فى زورقه يملأ ناظريه من جمال الطبيعة المتبرجة فوق الشاطئ الإيطالى الفتان

لقد كان أنطونيو سعيداً هذا الصباح ، لأن كثيرين من أهل سورّنتو يذهبون فى مثل ذلك اليوم من كل أسبوع إلى قرية كابرى ليبيعوا فى سوقها ويشتروا ... ولم يكن سعيداً لكثرة زبائنه فقط ، بل كان سعيداً لشىء آخر ... شىء عزيز ... شىء هو حلم القلوب ، وغذاء النفوس ، ومسبح الخيال ، ومستراد الحلم ..

وأقبل قسٌّ من سورّنتو ، فجعل يدلف حتى وقف على السّيف أمام أنطونيو ... ثم قفز فكان فى الزورق ، والفتى مع ذلك فى شغل عنه ... وعن الدنيا جميعاً

— أنطونيو يا بنى ! ! ماذا يمنعك أن تبحر قبل أن تشتد الشمس ؟

— لا شىء أيها الأب ... سنبحر حالاً !

ولكن أنطونيو كان لا ينى يبحث فى الشاطئ بعينيه ، يرسلها وراء أيكة ... وكان القس القلق يرى فى نظراته الحائرة طيف حبيب تائه ... فى عالم مجهول ... ! ! فيعذره ! !

ثم بدت فتاة جعلت تخطر بين دَوْح السنديان وتلوح بمنديلها فوق الشاطئ ، فهفا قلب أنطونيو ، وطفح وجهه بالبشر المفاجئ وارتجفت يده ، وشاع فيه مرح عجيب ، فسأله القس :

— وبعدُ يا أنطونيو ؟ ! ألا تبحر بنا يا بنى ؟

— سنبحر ... سنبحر أيها الأب ...

وكانت الفتاة تتواثب فوق النؤى خفيفة رشيقة ، فلما اقتربت هبّ الملاحون الخبثاء يغمزون ويلمزون ، وإن فرض عليهم وجود القس احتشاماً كان يغيظهم ويخنقهم ... ثم ركبت فى فلك أنطونيو ، ووقفت قريباً من القس الذى حياها قائلاً :

— لوريلّلا ! ! عِمى صباحاً يا صغيرتى ! أتصحبيننا إلى كابرى ؟

— أجل يا أبانا

— أحسب أن ليس معك نقود من أنطونيو ؟ ! أوّه ! إن أنطونيو شاب طيب ... وهو بلا ريب لا ينتظر من أمثالك

(١) من أدباء بلاطملك مكسمليان ملك بافاريا سنة ١٨٥٤ ومن أبرع كتاب الأقاصيص

٢ — اليوسفى

ويوسفىٍّ أصفر أنيقِ تحية الصديق للصديق
وتحفة العشيق للعشيق جرّدته من قشره الرقيق
فجاء مثل الرّكَبِ الحليق

٣ — الورد يعصر

تنظّرَ صُبح النجم والصبح يسفر لدى كبرياء الخطب والعزم أكبرُ
فتى النُّبْل يزكو بين لين وشدةٍ فكالورد يُستهدى وكالورد يعصرُ

أجراً ... بل بالعكس ، لقد فرش لك قميصه ، ولم يفعل ذلك من أجلى ... ولكن أين عشرة قسيسين مثلي ، في فتاة ريانة مثلك ، في نظر هؤلاء الشباب ! ! وماذا تحملين إلى كابري يا لوريللا ؟ »

وقبـل أن تجيبه الفتاة مدت يدها إلى قميص أنطونيو فنحّته ، ثم جلست وقالت تجيب الأب :

— ثوب ، وحرير ، ورغيف أيها الأب ... الثوب لامرأة تصـنع الأشرطة في أنا كابري ! والحرير لامرأة أخرى ... والرغيف لي ... أتبلغ به ...

— والحرير من غزلك أنت ؟

— أجل أيها السيد

— أذكر أنك كنت تصنعين الأشرطة بيديك ؟ أليس كذلك ؟

— بلى أيها الأب ، ولكن أمي قد تقدمت بها السن ، ثم هي مريضة ، بل شبه مقعدة ، ونحن فقراء ... فمن لنا بنول نشتريه وليس معنا من ثمنه شيء ؟

— أمك ؟ ! وا أسفاه ! لقد أذكر أنني رأيتها في عيـد الفصح الماضي !

— أجل ... ولكنها مريضة اليوم ... وهي تقاسي من زوابع الربيع ما لا تقاسيه في فصل غيره ... أضف إلى ذلك زلازل الفيزوف ورجفاته ...

— صلي من أجلها يا فتاتي ، واضرعي إلى العذراء أن تـكلأها ... ولـكن ... خبريني يا لوريللا ... لقد سمعت الملاحين الخبثاء يلمزونك وأنت مقبلة ، فيقولون لك (هلمي أيتها العربية ...) وهو نداء لا يليق بمسيحية تقية مثلك ، فما سبب هذا ؟

— إنهم طالمـا يدعونني كذلك ، مستهزئين بي ، لأنني لا أشركهم في رقصهم وغنائهم وسائر عربداتهم ... وهذا بالرغم من مسالمتي لهم دائماً ...

وأغضت الفتاة ، وجعلت تبحث في خضرة المياه بعينيها المحزونتين ، كأنما راعها ما عرف القس من أمرها وأمر هؤلاء الملاحين ...

وساد الصمت ، وكان أنطونيو قد دفع الفلك في البحر فاحتواها الماء ، وصارت سورنتو تبتعد وتبتعد ، وتسطع منازلها البيضاء في خضرة حدائق البرتقال ، وفوهة الفيزوف تقذف بمثل ما في صدر لوريللا من جحيم ... ثم سألها القس :

— ألم تعودي تعلمين من أمر الصور شيئاً يا لوريللا ؟ لقد سمعت أنه ذهب إليك مرة ليعمل لك صورة ، وأنك رفضت فلـمه ؟

— ولم يريد أن يصورني أنا من دون بنات سورنتو ؟ إن منهن من هي أروع مني جمالا وأكثر فتنة ! فلم يصورني أنا ؟ لقد ذكرت أمي أنه ربما تصباني بها ، أو أتلف بها روحي ، ومن يدري فربما أضمر بها قتلي ؟ من يدري ؟ !

— يا صغيرتي لا تصدقي هذه الخزعبلات ! ألا تؤمنين بالله ؟ ألا تثقين أنك دائماً في حفظه ؟ وأن شعرة واحدة منك لن يصيبها أذى إلا بإذنه ؟ فماذا يصنع واحد من بني الموتى بصورة في يده إن أراد بك سوءاً ؟ ... على أنني أعرف أنه كان مغرماً بك ، مشغوفاً بجمالك ... وأنه لذلك أراد الزواج منك ، لكنك أبيت ! ولست أدري لماذا ... إن الناس كلهم يمدحونه ويطرون أخلاقه ... ولقد كان في وسعه أن ينتشلكم مما تقاسون من ضيق وشظف ، ويريحكم من عناء ما تنسجون من أجل الحياة ...

— تالله يا أبانا لقد كان فقرنا سبب إحجامنا ... إذ كيف يطيق ما نحن فيه من عوز ، وما تقاسي أمي من مرض ؟ لقد كنا نصير كلاً عليه ... هذا ... وأنا ؟ ! كيف أعيش في كنفه ذليلة بفقري وبيئتي ؟ هل أنا سينوره ؟ ! ماذا يقول لرفاقه حين يغشون داره ؟ إنه يهرب مني حينذاك ... أو ... يذوب حياء

— كيف تقولين هـذا يا لوريللا ؟ ! إن الرجل الذي يحب لا يبالي ما تقولين ... على أنه كان يستطيع أن يهاجر إلى بلد بعيد فيعيش في جنة بغنه ، ويسعد بك إلى الأبد ... أوه ! ... لقد كان رسولا من السماء بعثته لإنقاذكم فطردتموه !

— لا علينا من ذلك أيها الأب ! إنني من جهتي ... لا أرغب في الزواج مطلقاً ...

— تعنين أنك نذرت أن تكوني راهبة ؟

— ... ؟ ...

— عنيدة ! ما أحسبك تريدين أمك إلا مرضاً يا لوريللا ؟ بأي حق ترفضين هذه اليد الـكريمة التي بسطتها لك السماء لتخلصك ولتنقذ حياة والدتك ؟

— آه ! إن لدي سبباً ... بيـد أنني لا أبتغي أن أبوح به لأحد !

— حتى ولا لي ؟ ! ولا لي أنا ... موضع اعتراف العذارى

جميعاً ؟! أنا يا لوريللا التى طالما كنت صديقك ومفزّع الأحزان عن فؤادك ؟

— ... ؟ ...

— لا ، لا يا صغيرتى ! إنك لا تعرفين من هذه الحياة إلا قليلاً ، فأزيحى عن فؤادك ما ينوء به ... ثم إنى أعدك أن أكون أول مؤيد لك إن كنت على حق ...

وقبل أن تجيبه لوريللا ، أرسلت عينيها ناحية الملاح الشاب الذى كان موزع الفكر بين الحبيبة وبين الشراع وبين البحر ... والذى كان يحجب عينيه بطرف من وفاء رأسه وهو مع ذلك مصغ لحديث القس

ثم تكلمت لوريللا فذكرت للحبر الجليـل ما يفزعها من الزواج ، لأنها تحتفظ بذكريات مشجية مما كان يحدث بين أبويها من نضال وشقاق ... « حتى لقد كان لا يتورع أبي من مد يده إلى أمي بالضرب المبرح الذى كان سبب ما تقاسيه اليوم من الأمراض ... أبداً لا أنسى هذه الوحشية أيها الأب ، تلك الوحشية التى أسميها وحشية الزواج ، والتى من أجلها أوثر أن أظل عانساً إلى الأبد ... ثم أنا لا أعرف قيمة هذه العلاقة التى تنشئونها بين رجل وامرأة ، فيظل الرجل قويًّا وتظل المرأة ضعيفة ، يقبلها إذا أراد ، ويتجهمها إن شاء ، ويلعب بها كما تلعب الرياح بالريشة التى لا حول لها ... أوه ! أقسم لك أيها الأب ، لو أننى كنت فى مقام والدتى لعرفت كيف أذود وحشية زوجى وأدفع أذاه ! ! تالله لأسقيته ضعف ما كان يحاول أن يسقينى ! مسكينة يا أمى ! لقـد كنت ضعيفة فلم تحاولى أن تدافعى عن نفسك ، وسميت ضرب أبي إياك محبة ، والسكوت عن هذا الضرب طاعة ... »

ويحاول القس أن يخفف من نقمتها على حيـاة الزوجية ، ولكن محاولاته تذهب مع الريح ؛ ويذكر لها أن الأزواج ليسوا سواسية ، وأنهم ليسوا جميعاً قساة القلوب غلاظ الأكباد كما تظن ، وأن الشاب المصور الذى أحبها كان له قلب رءوف رحيم بحكم فنه وميوله الروحية العالية ... ولكن لوريللا تدفع عظاته فى ثورة جامحة ونقمة على الرجال لا تعرف التسليم

ويسمع أنطونيو هذا كله ... فيقف من الفتاة على مثل قوهة فيزوف !

* * *

ومتع النهار ، وألقت الفلك مراسيها عند كابرى ، ونزل أنطونيو فى المـاء ليحمل القس إلى الشاطئ ، ثم عاد ليحمل لوريللا ...

— لا ... لن يحملنى رجل ماحييت !

ثم حسرت عن ساقيها ... الساقين الجميلتين المرمريتين ... ونزلت إلى الماء السعيد ! حاملة حزمتها ... وتبعها أنطونيو ... وفوق كتفه سلة من البرتقال سيبيعها فى سوق كابرى

ورجاها القس أن تذكره عند أمها ، وأن تذكر لها أنه ربما زارها غداة غد ... ثم أخـذ طريقه إلى كابرى ... وأخذت طريقها إلى أنا كابرى ...

وكانت فى نفسها أشياء .. وكانت فى نفس أنطونيو أشياء .. فلما بعد القس التفتت فجأة لترى إلى أنطونيو فى الفلك .. فما كان أشد حياءها حين رأته خلفها ، وعيناه مسمرتان فى عينيها !

وباع أنطونيو برتقاله ... وعاد فى ساعة إلى الفلك ... وجلس فيه على أحر من الجمر ينتظر عودة لوريللا !

وما هى إلا ساعة أو نحوها حتى أقبلت الفتاة تتهادى كالقطاة وقد نهد ثدياها واهتزا ، ولعبت فوقهما شياطين البحر الأبيض.. فلما رآها أنطونيو وثب فى الفلك ، ونشر الشراع ، ورفع المرساة واستعد للاقلاع بصاحبته من فوره

وجلست لوريللا فى طرف المركب ، وولت ظهرها للملاح الشاب ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى إلا صورة جانبية (بروفيل) من وجهها الجميل ، مطبوعة فى السماء الصافية مرة ، وفى الماء الساكن مرة أخرى

لقد كان نصف فمها الجميل الخمرى الأحمر ، وخدها الأسيل الوردي، ووجنتها الناصعة ذات الزغب ، وعنقها الطويل الشفشاف ، لقد كان ذلك يثير فى قلب أنطونيو صنوفاً من العذاب الخائف ، والألم المذعور ... لا عهد له بمثلها أبداً ...

ولم يقلع أنطونيو ... وأخرجت الفتاة رغيفها وأخـذت تتغدى ...

وأخرج الملاح برتقالات فقدمها لها وقال : « لا تحسبى أننى ادخرتها لك ... بل ... لقد سقطت من غير قصد من السلة قبل أن ننزل إلى البر ، فإن شئت فكليها ...

— بل كلها أنت ... فالخبز القفار يكفينى !

— إنهن خير ما يؤكل فى هذا الحر القائظ ، لا سيا وقد مشيت كثيراً !

— لقد شربت فى الطريق ، وهذا حسبى !

— إذن ... خذيها لوالدتك !

— عندنا برتقال كثير ، وسنشترى غيره إن نفد !

— وماذا لو أخذت هذه البرتقالات ، وقدمتها إليها مع تسلياتى ؟!

— وكيف ، وهى لا تعرفك ؟

— خبريها عنى !

— أخبرها عنك وأنا لا أعرفك ؟

لقد كذبت لوريللا فى هذه الدعوى ... فلقد كانت تعرف أنطونيو ، وكان أول هذه المعرفة فى يوم كان بينها حبيبها المصور هواه عند شاطئ البحر

يا له من يوم هائل ذلك اليوم ! لقد لمح نفر من اللاحين الحبيبين الصغيرين يتناجيان فتغامزوا بهما ، ثم أنشأوا يحذفونهما بحصوات ... لكن أنطونيو الشجاع ، لم يرضه ذلك المسلك المعيب الشائن من رفاقه ، فانبرى لهم ، ودفع عن الحبيبين أذاهم... فكيف مع ذاك لا تعرفه لوريللا ؟!

ثم جلسا صامتين ... وبدا للملاح العاشق أن يبحر من فوره قبل أن يصل أحد فيتلف عليه تدبيره الذى خطر له فى مثل البرق وتعمد أنطونيو أن يدخل بالفلك فى صميم البحر ... ليكون بعيداً من الشاطئ ما استطاع ... فلما حصل ثمة ... أنزل الشراع فجأة ، وترك الفلك تتقاذفها الأمواج ... ثم توجه نحوها وهتف بها يقول :

— أنت لا تعرفيننى ؟ إذن يجب أن أضع حداً لعبثك بى ! وينبغى أن أطلعك على ما أترع به قلبى بسببك ... إننى لا أطيق أن أصبر على طول صدك يا لوريللا ... !

— ماذا تعنى ؟ أى صد وأى عبث ؟ أتعنى أنك تحبنى ؟ إذن فاعلم أننى لن أحبك ، ولن أقبل أن أتخذك بعلاً ؛ لا أنت ولا أحداً غيرك ، أسمعت ؟

— كلام ترسلينه فى الهواء ! غرور وخيلاء ! أليس لك قلب ؟ لم جئت إلى هذه الدنيا إذن ؟ إنك أنثى ، أليس كذلك ؟ فلم خلقت أنثى ؟ إنك لا بد متزوجة يوماً ما ... ولو برغمك !

— من يدرى ؟ هل اطلعت الغيب ؟ ثم ما أنت وهذا ؟

— ما أنا وهذا ؟ ألم تدركى بعد ؟ إنى أخشى أن تكونى من نصيب غيرى ! إن هذا يخرج بى عن صوابى ! إنه يصيبنى بالجنون

— وإذا أصبت بالجنون ، فما أنا وذاك ؟ هل وعدتك بشئ فأنت تجن إذا أخلفتك موعدى ؟ أى حق لك علىّ ؟ !

— أى حق ؟ حق عظيم يا لوريللا ... حق ليس صكا على ورق ، بل هو هنا ... فى صفحة قلبى ... حق يجعلك لى من دون العالمين ... لن أطيق أن أراك ذاهبة إلى قداس مع سواى؟! الموت دون ذاك ... !

— أنت حر تقول ما تريد ... ولن تخيفنى تهديداتك ... ثم أنا حرة كذلك ...

— وينبغى ألا تتمادى فى هذا الغى ... إنى لن أسمح لفتاة شموس عنيدة مثلك أن تعذبنى هذا العذاب الطويل ... هذا غير محتمل ... أنت هنا فى قبضتى ... ويجب أن تنفذى مشيئتى ! !

— إذا استطعت أن تفعل شيئاً فدونك ! ... أتريد أن تقتلنى ... إن ... خالفتك ؟

— أنا لا أحب أن أصنع شيئاً فأتى على نصفه ، وأترك النصف الآخر ... إن هذا البحر الزاخر اللجى يسعنا جميعاً ، ولن يضيق بى وبك ... يجب أن نقر فى أعماقه معاً ... أنا ... وأنت

ثم انقض عليها وأمسك بذراعها ، وحاول أن يحملها ليهبط معها إلى البحر ... بيد أنه صرخ فجأة ... لأن لوريللا كانت فى هذه اللحظة كاللبؤة المغضبة ... فقد فتحت فمها الجميل الفاتن ثم أهوت على يمين أنطونيو ، فقضمت أنامله ، وانبجس الدم الحار الثائر متفجراً كأنه يتدفق من ينبوع ...

— ها ... أرأيت ؟ ها قد امتثلت لأوامرك كما ادعيت ... والآن ... ربما ما تزال تحسب أننى فى قبضتك ... أنظر ! !

ثم قفزت فى البحر المائج الجياش ... وغاصت فى الماء ...

وصرخ أنطونيو ... وأرسل عينيه المفزوعتين تبحثان فى اللج ، وتضربان فى ثنايا الموج ... لكنه لم ير شيئاً ... ولما التفت إلى الخلف ، وجد الفتاة تسبح نحو الشاطئ ، وهى تكافح العباب المتلاطم ، وتركب بجسمها الأهيف الجميل فوق أعراف الموج المضطرب

— لوريللا ... لوريللا ... قفى ... عودى إلى الفلك ...

إن المسافة طويلة... نحن من الشاطىء على ثلاثة فراسخ يا أختاه...
لكن الفتاة أصمت أذنيها ... وانطلقت تسبح ...
وفى سرعة البرق ، نشر أنطونيو شراعه ، ولوى عنان الزورق الكبير ، وذهب فى إثرها ... وجعل يرجوها ويتوسل إليها ... لكنها مضت فى سبيلها فى البحر سَرَباً ...
— لوريللا ... وماذا تصنعين إذا بلغت الشاطىء ؟ إننا على مسيرة ساعات من سورنتو ... عشرون ميلا يا أختاه ! !
ولم تعره لوريللا التفاتاً ... بل ذهبت تذرع البحر فى غير مبالاة... فلما كانت على سَبحة أو سبحتين من الشاطىء ، لوت رأسها نحو الفلك ، وقالت لأنطونيو مستهزئة : « أما وقد وصلت فسأركب ... وحسبى أن أريتك أنى لست فى قبضتك ! ! » وتعلقت فى حبال السفينة ، ووثبت كالغزالة ، وراحت تعصر الماء من ملابسها ، فانهمر من تضاعيفها غزيراً ثجاجاً
ونظرت إلى يديه ، فوجدت الدم ما يزال يتدفق من يده ، فنزعت منديل رأسها ، وألقته إليه قائلة : « خذ ... أربط بهذا جرحك » لكن أنطونيو لم يفعل ، بل ظل يرنو إليها بعينين جائعتين ظامئتين معجبتين ... فتقدمت هى ، وربطت يده ، ثم جلست بجانبه ، وتناولت أحد المجذافين ، وراحت تعمل به فى الماء ، لأن الريح كان قد تنير هبوباً ... وحدجته لوريللا وقالت له : « وسترى أيضاً أنى أعرف منك بصناعتك ... هلم فاعمل كما أعمل إن استطعت ...

* * *

وكانت أم الملاح الشاب تنتظره عند المرفأ ، فلما رأت ما به سألته ماذا أصابه .. لكنه تضاحك ، وقال إن مسماراً خدشه ..
ونزلت لوريللا ... وهتفت بالملاح أنها ستعوده ، وستأتيه بحشائش وأعشاب لها نفع عظيم فى مثل جرحه
ولم ينم أنطونيو برغم ضعفه الشديد وإعيائه المضنى ، ولم يخف ألمه برغم الماء الساخن الذى أعدته له أمه ، والذى نضحته على الجرح مراراً .. بل ظل الدم يتدفق .. وظل الفتى يتقلب .. وظل مع ذلك يفكر فى لوريللا
وكان ينظر إلى منديلها كأنه قُنية غالية ، أو نفحة من السماء أو تذكار عزيز لهذه المعركة التى انهزم فيها فى عرض البحر ... وفى ... معمعان الحب !

وفى الوقت الذى قطع أنطونيو فيه كل أمل من لقاء لوريللا...
وفى هدأة الغسق الساكن ... دخلت لوريللا الجميلة الهيفاء ... لوريللا ... الحلم الجميل الساحر ... تحمل الأعشاب التى وعدت أن تأتى بها لمعالجة الجرح ، فقال لها أنطونيو :
— آه ... منديلك ، لقد أتيت تفتقدين منديلك
لكنها لم تجب ... بل بحثت عن وعاء ، وتناولت يد أنطونيو ففكت الرباط عن الجرح ، وكان قد تورم قليلا ، فغسلته بماء عصرت فيه من أعشابها ، ثم وضعت من الأعشاب عليه ما لا يؤذيه ، وربطت اليد المحمومة الساخنة برباط نظيف تيلى أحضرته معها ... فما هى إلا لحظة حتى زال ألم أنطونيو ... فافتر باسماً وهو يقول :
— أشكرك يالوريللا ... وإذا كان لى أن أطلب شيئاً ، فهو أن تغفرى لى !
— بل أنا التى أطلب الصفح يا أنطونيو ... فى الحق ... لقد غاليت معك فى هذه الوسائل العنيفة ... والآن ... ما بال هذه العضّة ؟!
— لقد صنعت ما صنعت دفاعاً عن نفسك ... وأنا ما أزال أشكرك !
— وشىء آخر يا أنطونيو ! ألا تدرى أنك قد فقدت (جاكتتك) فى البحر وفيها نقودك ... أجور المسافرين ... وثمن ... البرتقال !
— هذا لا يهم يالوريللا !
— بل ... لقد كنت أوثر أن أعوضك عنها لو استطعت... على أنى لا أملك إلا هذا الصليب الفضى ... خذه ... لقد تركه لى المصور يوم أن جاء يخطبنى
— وما أنا وهدية من خطيبك ؟ إنى لن أمسه أبداً
— لا تحسب أنى أقدمه هدية بدورى ... لا ... بل خذه فإنه ينفعك !
— بل خذيه وانصرفى مشكورة
وأخذت المنديل والصليب ، ثم وضعتهما فى السلة الصغيرة التى حملت فيها الأعشاب ... وحينما حاولت أن تنهض من جانب أنطونيو ... نظرت إليه ... وإذا عبرات حرار تتحدر فوق خديها فجأة ... وينظر إليها الملاح النائم ... فينهض كالظليم ...



وفاة دانونزيو شاعر إيطاليا العظيم

نعى البرق فى ٢ مارس الجارى شاعر إيطاليا العظيم جبرييل دانونزيو Gabriele D'Annunzio عن ٧٥ سنة مليئة حافلة ، وبعد حياة مشكورة موفورة … وقد ولد الشاعر سنة ١٨٦٣ ، وظهر أول دواوينه سنة ١٨٨٠ ، أى فى سن السابعة عشرة ، ثم والى نشر أشعاره بعد ذلك فدل على حيوية دائبة ونبوغ عظيم .

وقد كان دانونزيو مولعاً بمواطنه الكبير كاردوتشى الذى يطلق عليه الايطاليون (أبا الشعر) وأبا الأدب الايطالى الحديث ، ولذا فقارئ دانونزيو يحس تأثره فى كثير من الأحيان بكاردوتشى ولا سيا فى قصيدته الطويلة (أنشودة للشيطان) التى ثار فيها على المسيحية وعزا إليها انحطاط إيطاليا وتأخرها بعد أن كانت سيدة العالم فى زمن الرومان … على أن دانونزيو مزيج عجيب من الاغريق واللاتين والفرنسيين والانجليز ، وقد ترك فيه كل من هؤلاء أثراً كبيراً كان يطفو بأدبه على عباب آدابهم الزاخرة ، ومع ذلك فقد كانت له شخصيته القوية المستقلة … وكثير من نقاد الآداب يخالفون الايطاليين فى نسبة نهضة الأدب والشعر فى إيطاليا إلى كاردوتشى ، فينسبونها إلى دانونزيو … وهذا حق … فقد أدخل دانونزيو على الشعر الايطالى كثيراً من صنوف التجديد استعارها له من الشعرين الانجليزى والفرنسى ، واستطاع أن يلفت إليها مواطنيه ، بل أن يفتنهم بها … وكان يتوسل إلى ذلك بالأغانى ، حتى إذا استساغوها أنشأ ينظم لهم الأقاصيص الغنائية فأقبلوا عليها إقبالاً شديداً

والميزة التى يتفرد بها دانونزيو على جميع شعراء العصر الحاضر هى قدرته القوية على الوصف . وفى قصة (الرسالة) التى نشرت فى الأسبوع الماضى دليل على ذلك وإن تكن أقصوصة قصيرة . ودانونزيو يصف الوصف البارع ثم يضفى على وصفه أزهى ألوان الطبيعة ، وهو هنا مصور دقيق يربط اللون بالضوء ربطاً عجيباً … وقد يشغله ذلك عن القصة نفسها ، ولذلك يضيق به بعض قرائه فى حين يفتتن به بعضهم افتتاناً يخرج بهم إلى حد الغرام … وأستاذ دانونزيو فى تلوين أشعاره على هذا النحو هو الشاعر الانجليزى كيتس

وقد كان دانونزيو مولعاً بالأسلوب الجزل والعبارة الفخمة ، وكانت له قدرة مدهشة على استعمال الغريب استعمالاً يجعله أوقع فى فؤاد القارئ من الموسيقى … وذلك ملحوظ فى شعره ونثره على السواء

وكما كان دانونزيو إمام شعراء إيطاليا فكذلك كان إمام كتابها … وستعيش قصصه ، وتخلد ، لأنها قصص من النمط العالى الرفيع … وإذا كان هناك ما يؤسف له فى هذه القصص ، فذاك … هو هذا الإفحاش البالغ ، والأدب المكشوف الذى كان دانونزيو مولعاً بهما فى شبابه ، مما جعله زعيم المنحطين فى الأدب الايطالى الحديث … ولعله قد تأثر بالمنحطين فى الأدب الانجليزى وعلى رأسهم أوسكارويلد وجويس ولورنس

وأحسن قصصه هى على التوالى (طفل السرور Il Piacere) والفريسة — وانتصار الموت — وعذارى الصخور — ولهب الحياة

ومن أروع دراماته فرنشسكا درايمينى وجيوكندا . هذا

ويأخذها فى ذراعيه … ويطبع على فمها الصغير المرتجف قبلة … ليس مثلها قط قبلة … ثم ينحط فى فراشه فيبكى … ويستخرط فى البكاء …

— لوريللا … أليس الأفضل أن نتزوج ؟ !

— وهل فى الدنيا أفضل من ذلك يا أنطونيو … ؟

دريني خشبة

وسنعرض لبعض آثاره فى أعداد تالية

وقبل أن نختم هذه النبذة يجب أن نشير إلى سخط الأدباء فى العالم أجمع أثناء الحرب الحبشية حين أرسل الشاعر تحيته إلى الجنود الإيطاليين الذين ذهبوا إلى الحبشة لتقتيل أبنائها ... والشاعر معذور بطبعه فى موقفه إزاء هذه الحرب ، فلقد كان جندياً وكان طياراً وقد اشترك فى حرب فيومى المروفة

المجمع اللغوى فى دورته الأخيرة

اختتم المجمع الملكى للغة العربية دورة اجتماعه الخامسة فى الشهر الماضى بعد أن عقد خمساً وثلاثين جلسة نظر فى أثنائها فى كثير من المصطلحات فى علوم الأحياء والرياضة والطبيعة ، فأقر منها قرابة خمسمائة مصطلح ، ثم نظر فيما قدم إليه من قوائم الأعلام الجغرافية التى أخرجها حضرات الأعضاء على القواعد التى وضعها المجمع فى كتابة الأعلام الأجنبية بحروف عربية فأعاد النظر فيما سبق أن أقره

واستأنف البحث فى قواعد جديدة وقرر إعادة القوائم إلى الأعضاء لمراجعتها وإصلاحها بحسب القواعد التى استحدثت

ثم نظر فى قائمة وضعها الأستاذ الدكتور نلينو عضو المجمع وأحصى فيهـا ما عثر عليه من الأغلاط الشائعة فى المصورات الجغرافية المستعملة فى المدارس المصرية والشرقية فيما يتعلق بالبلاد الآسيوية الإسلامية والسودان وصحراء لوبيا . فناقش المجمع فى هذه القائمة وراجعها على المصـادر المتمدة ثم قرر إرسالها إلى وزارة المعارف لكى تتلافى هذه الأغلاط

وكذلك بحث المجمع فى موضوع إصلاح الكتابة العربية وابتكار طريقة للكتابة تغنى عن الشكل وتضمن النطق الصحيح فتألفت لذلك لجنة طلب إليها أن تواصل البحث والمراجعة وتعد نتائجها للدورة المقبلة

ومن قرارات المجمع فى هـذه الدورة الاتصال بأصحاب الآلات الكاتبة المشهورة والتفاهم معهم على وضع الرموز التى أقرها المجمع للأعلام الجغرافية بين حروفها ، وطبع المصطلحات التى أقرها فى العلوم والفنون والآداب فى قوائم مستقلة على ترتيب معجمى تيسيراً لإذاعتها ، والاتصال بالجهات الرسمية فى الدول للحصول على القوائم الشاملة لأعلام البلاد كالجامعة العثمانية للحصول على أسماء بقاع الهند ومصلحة الصحراء للحصول على أسماء الأمكنة بين النيل والبحر الأحمر واتحـاد البريد الدولى للحصول على دليل البريد الذى يصدره .

معاهد الأزهر واللغة الأجنبية

جاء فى بريد الرسالة (٢٤٢) وهى تتحدث عن اشتداد الرغبة فى الأزهر ومعاهده والاقبال عليه ـ أنه (لو عنى الأزهر بتقرير دراسة لغة أو لغتين أجنبيتين فى معهد أو معهدين من معاهده لسبق المدارس الدنية بألف شوط فى مضمار الحياة)

وهذه مسألة ظاهرة الفائدة ، وقضية واضحة اللزوم ، وليس من حاجة إلى تجربتها فى معهد أو معهدين من معاهد الأزهر ، بل الواجب تعميمها فى كافة المعاهد على أنها قد جربت فى (كلية بيروت الشرعية) التى أقـدم على إنشائها برغم الصعوبات والمعارضات وقلة الواردات سماحة مفتى لبنان الأستاذ الشيخ توفيق خالد ، فكانت فائدتها جليلة جداً ، إذ أصبح طلابها يستطيعون إذا شاءوا دخول فحوص البكالوريا العامة ، كما أنهم يستطيعون أن يدخلوا فى إحدى كليات الأزهر العالية . ثم إن كليتنا تدرس مقرر الأزهر الثانوى كاملا وتزيد عليه اللغة والآداب الفرنسية ، وهى كما قال سعادة العشماوى بك وكيل وزارة المعارف المصرية فى زيارته الأخيرة إياها فى هذا الأسبوع : « ليست إلا معهداً من معاهد الأزهر » ويرى المدرسون فى الأزهر الشريف خريجى هذه الكلية فى العام المقبل إذا شاء الله

هذا هو الطريق الوسط الذى لا طريق غيره . فيا ليت هذا الطريق يكثر سالكوه ، فينشأ أمثال هذه الكلية فى الشام والعراق . ويا ليت المدارس المدنية تعنى (أيضاً) بتدريس القرآن والعلوم الاسلامية . إن لم يكن ذاك لأنها دين لا بد منه فليكن تدريسها لأنها مواد علمية قيمة ، وثقافة لا بد منها لكل رجل مهذب ، وعالم متخصص

على الطنطاوى

بين سابور وفالريان

جاء فى مقال الأستاذ محمد عبد الله عنان (بين تيمورلنك وبايزيد) المنشور فى العدد الأخير من الرسالة أن تيمورلنك وضع بايزيد بعد أسره فى قفص من حديد كما فعل قيصر الروم مع سابور ملك الفرس

وهذا على النقيض مما وقع تماماً ، إذ أن سابور الأول هو الذى أسر قيصر الروم الذى ظل فى أسره إلى أن مات

وذلك أن سابور بعـد فترة هدوء بينه وبين الروم مدة أربعة عشر عاماً تقريبا — كان فى خلالها منهمكا فى حروب مع أعدائه الطورانيين المتاخمين لحدوده الشرقية — رأى أن الفرصة مناسبة ، بسبب اضطراب الحالة الداخليـة فى الامبراطورية الرومانية ، لاقتطاع بعض أجزائها المتاخمة لحدوده الغربية وضمها إلى رقعة ملـكه الواسـعة . فسار على رأس جيش كبير يرفرف عليه علم فارس المرصع[1] وبدأ بمهاجمة المدينتين الحصينتين إدسا ونصيبين اللتين لم تلبثا أن وقعتا فى قبضة يده

وكان قيصر الروم إذ ذاك هو الامبراطور فالريان Valerian فهرع لملاقاة عدوه ومحاولة صـد تياره الجارف ولـكن بمناورة حربية بارعة تمكن سابور من وضع الامبراطور فى موضع لم يجد معه بداً من الاستـسلام بجيشه بأسره لسابور الظافر

وبعد الانتهاء من فتوحاته التي اقترنت بالنار والدم عاد سابور إلى عاصمة ملـكه حاملا معه أسيره الامبراطورى الذى ظل فى أسره إلى أن مات

ولا يعلم بالضبط مدى صحة الإشاعة التي تقول إن سابور كان يضع أسيره فى قفص من حديد ولا يبعد أن يكون قد فعل ذلك زيادة فى النكاية بالروم وإمعاناً فى إهانتهم وإذلالهم ، غير أن بعض المؤرخين يستبعد ذلك ويرجح أن سابور كان يعامل فالريان معاملة حسنة بل وكان يوليه شيئاً من الإكرام

أما بعد وفاة فالريان فالمحقق أن سابور أمر بنزع جلده وحفظه تخليداً لنصره الباهر على الروم ولإضافته إلى مفاخر فارس الحربية

وقد سجل سابور أيضاً هذا الحادث الفريد بنحته نحتاً بارزاً ضخما على الصخر بالقرب من السابورية وهى المدينة التى أنشأها سابور وسماها باسمه ، فى هذا النحت نرى سابور ممتطياً صهوة جواده وقد ركع فالريان على الأرض أمامه ووقف خلف سابور عشرة فرسان يمثلون الجيش الفارسى الظافر ، بينما اصطف خلف فالريان عدد من الجنود الرومانية يمثلون الجيش الرومانى المأسور

هذه ملاحظة عنت لى لدى قراءة مقال الأستاذ عنان الشائق رأيت أن أسجلها خدمة — كالمعتاد — للحق والتاريخ

قارىء

(١) وهو العلم الذى وقع بعد أربعة قرون تقريباً من ذلك التاريخ لأول وآخر مرة فى قبضة العرب فى موقعة القادسية الخالدة . ولهـذا العلم قصة خيالية (legend) شائقة ربما عدنا إليها

النشاط المدرسى فى المدارس المصرية

اقترح علماء التربية عطلة بعد الظهر فى منتصف الأسبوع لاراحة المدرس والتلميذ على السواء ولتكون فترة استجمام وتجديد قوى الذهن لبقية أيام الأسبوع ... وكان جميلا جداً أن يطبق هذا النظام فى مصر ، فعطلت الدراسة بعد ظهر يوم الاثنين من كل أسبوع ، وقد تحقق أثر هذه العطلة القصيرة ، وبدا النشاط الذهنى فى المدارس عامة نتيجة له ... ولـكن سرعان ما انعكست الآية وضاعت الفائدة من هذه العطلة بتكليف الجماعات المدرسـية بالحضور بعد ظهر يوم الاثنين إلى مدارسهم لتسخيرهم فى ألوان من الأذى والارهاق ، يسمونها ألوان النشاط المدرسى ... وهو نشاط أشبه بالركود ، بل الموت ! فهذه جماعة تعمل أشغالا من الأركت بعد الغداء بساعة أو ساعتين ، وتلك أخرى تنشد أناشيد ميتة لا روح فيها ، وثالثة اجتمعت للتفرج بكتب لا غناء فيها ، ورابعة ، وخامسة ، والـكل يشكو فى سره إلى الله من هـذا التكليف السخيف الذى أطار من خيرة التلاميذ عطلة بعد ظهر الاثنين التى أصبح التلميذ الغنى وحده هو الذى ينتفع بها . ولا ندرى لم لا يخصص وقت للنشاط المدرسى فى صلب جدول توزيع الحصص ليشترك فيه جميع التلاميذ ، وليكون أجدى مما هو فى شكله المرهق وأسلوبه السقيم ؟ (معلم)

أول نشرة جوية فى التاريخ

منذ مائة سنة (١٩ يناير سنة ١٨٣٧) أصدر شاب إرلندى يدعى پَتْرِك مارفى أول نشرة جوية عرفها التاريخ لسنة كاملة تنبأ فيها عن الحالة الجوية لأيام السنة يوماً فيوماً من حيث الحرارة والبرودة والمطر والزوابع . والعجيب فى أمر هذا الشاب أنه لم يكن من علماء هـذه الأبحاث المناخية ، لـكنه مع ذلك تنبأ فى نشرته أن الحرارة ستنخفض إلى أدناها فى يناير من ذلك العام ، وحذر الناس بالفعل من العواقب الوخيمة التى ستنجم عن هذا الانقلاب المناخى المفاجىء ... لـكن الناس وفى مقدمتهم العلماء سخروا منه واستهزأوا به ، فلما كان الأجل المضروب صدقت نبوءة مارفى إلى حد بعيد ، فاشتد البرد وانخفضت درجة الحرارة فى جهات شتى إلى ١٤ تحت الصفر (٤٦ درجة تجمدية !) وبدأ الناس يموتون بالمئات فى الشوارع والحقول ، وأخذت القطط

والـكلاب تفنى بالآلاف كل يوم ، وانفجرت مواسير الميـاه وأنابيب الغاز فى أكثر المدن وتلفت المحصولات ، ونفقت البهائم وعمت المصائب والويلات ، وعجزت الحكومة عن مقاومة الـكارثة وتخفيف آثارها ... ولما خفت وطأة البرد أهرع الناس إلى (دكان) يترك مارق ليشتروا نشرته ، وأقبلوا من كل صوب يتلقفونها بثمنها (شلن ونصف) واشتد زحامهم حتى استدعى ذلك تدخل البوليس ... وقد يعجب القارئ إذا عرف أن كل مطابع المدينة كانت تعمل ليل نهـار فى طبع الأعداد المطلوبة والتى انتشرت في أنحاء بريطانيا خاصة وأوروبا عامة ... ولم تمض سنوات حتى أصبح مارق من أغنياء العالم وعلمائه على السواء

استراليا بعد ١٥٠ سنة من الاستعمار البريطانى

فى ٢٦ يناير المـاضى أتم الاستعمار البريطانى لقارة استراليا سنته الخمسين بعد المائة ، إذ يرجع تاريخ هذا الاستعمار المتيد إلى ٢٦ يناير سنة ١٧٨٨ ، حينما أقلع القيس أميرال آرثر فيليب بجانب عظيم من الأسطول البريطانى لإنشاء ويلز الجديدة الجنوبية أولى المستعمرات الانجليزية فى هذه القارة الغنية الواسعة . هذا ويرجع الفضل فى استكشافات استراليا إلى الـكابتن كوك قبل قيام هذا الاستعمار بسبعة عشر عاماً (١٧٧٠) . والشعب الاسترالى الذى هب هـذا العام يحتفل بتلك الذكرى العظيمة هو شعب راق متمدين ، لا يقل حضارة عن إنجلترا نفسها ، وقد أنشأ مدناً جميلة آهلة بالسكان على الشاطئ الشرقى والجنوبى الشرقى من القارة لا تقل بهاء عن أجمل المدن الأوروبية . وهـذا الشعب مولع (باليُـوجَـنيَّـة) أى علم استحداث الأحياء الراقية من الأحياء الوضيعة . وقد أفلح فى إيجاد الخيول الاسترالية القوية والخنازير السمينة والأغنام التى تمد العـالم بنصف محصوله من الصوف النظيف الناصع ، والأرانب التى تغمر فراؤها أسواق لندن وباريس . وقد نجحوا نجاحاً عجيباً فى الانتخاب النباتى ، فهذا قمحهم الجيد يغمر الأسواق وهذه فاكهتهم تباع فى مصر بأرخص مما تباع فاكهة ممالك البحر الأبيض

والاستراليون أذكياء جداً ، ولعل السبب فى ذلك هو أن ٩٠٪ منهم أحفاد المجرمين وذوى السوابق من البريطانيين الذين نفوا من انجلترا لاستعمار استراليا

الجريدة أم المجلة؟

مما نشكر عليه الجرائد المصرية إفرادها إحدى صحائفها للفنون والعلوم والآداب ، وهذا خير ولا تثريب على جرائدنا فيـه . بيد أننا نلاحظ أن كثيرين من أدبائنا الجهابذ وعلمائنا الأجلاء يؤثرون الجرائد ببحوث جليلة الفائدة فى التاريخ والآداب والعلوم والفنون ، قد لا ينتفع بها عامة القراء ، وقد لا يلتفت إليها خاصتهم ، وإذا راقت أحدهم وقرأها فقد لا يستطيع الاحتفاظ بالصحيفة أكثر من يوم أو يومين ، بله عاما أو عامين ، ومن هنا تضيع قيمة البحث وتندثر فائدته ، ولو قد نشر فى مجلة من مجلات مصر المحترمة لوجد طائفة كبيرة من خاصة القراء تعرف له قيمته وتحتفظ به إلى ماشاء الله . وأمثال هذه البحوث كثيرة ، وقد قرأنا منذ حين بحثاً جليلاً فى تحقيق أسماء المدن الأسبانية وآخر فى أصول الأدب المصرى القديم، وثالثاً فى تاريخ الـكتابة الهيروغليفية .. الخ ... فأين هى هذ البحوث اليوم ؟!

(د . خ)



النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة

تأليف الأستاذ محمد عرفة

بقلم الأديب محمد فهمي عبد اللطيف

منذ أعوام نشبت معركة أدبية بين الجامعة والأزهر حول نسبة الشعر الجاهلي ، وكانت شعواء صاخبة جرفت إلى ميدانها كثيراً من رجال الفكر وأعلام الأدب ، واتخذت من صفحات الصحف وردهات الأندية ميداناً واسعاً شاملاً ، وعج عجيجها فاتصلت بالسياسة وكان لها حديث تحت قبة البرلمان كاد أن يطيح بوزارة ، واتصلت بالدين فكان اتهام أمام النيابة واحتكام إلى القضاء ؛ ومع هذا كله فقد انتهت تلك المعركة وما تركت إلا النقع يخنق النفوس ، والغبار يقذى العيون ، وبقيت نسبة الشعر الجاهلي كما هي خاوية لا تقوم على تحقيق ثابت ، واهية لا ترتكز على بحث على صحيح ، معقدة لا يجليها رأى مبتدع ، مظلمة لا ينيرها فكر ثاقب

واليوم تنشب المعركة ثانية بين الأزهر والجامعة حول النحو وقواعده والنحاة وجهودهم . فالأستاذ إبراهيم مصطفى الأستاذ بكلية الآداب فى كتابه « إحياء النحو » ينتقد النحويين فى قصرهم مباحث النحو على الإعراب والبناء ، دون أن يبحثوا خصائص الكلام من التقديم والتأخير ، والنفى والاستفهام ، والاثبات والتأكيد ، ثم يرد على النحاة فى زعمهم أن الإعراب أثر لفظى لا يؤدى معنى ، ولا صلة له بتصوير المفهوم ، وإثبات أن حركات الإعراب دوال على معان قصدت من الكلام ، فالضمة علم الاسناد ، والكسرة علم الاضافة ، والفتحة علم الخفة ، ثم هو ينتقد النحاة فى زعمهم أن هذه الحركات اجتلبها العامل ، وراح يثبت أن المتكلم هو الذى أحدثها ، وخالفهم فذهب إلى أن التنوين علم التنكير ، فلك فى كل علم ألا تنونه

والأستاذ محمد عرفة الأستاذ بكلية اللغة العربية يرى فى ذلك منكباً للقصد ، وحيفاً على الحق ، فوضع للرد عليه كتابه (النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة) وهو يعتقد أن الأستاذ مصطفى قد نحل النحاة مذاهب لم يقولوها ونقدها وأبان خطلها ، كما أنه قدّد قواعد فى العربية لو أخذ الناس بها لتغيرت من روح العربية ولأفضى ذلك إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله على غير وجههما ، حتى لقد عمم فى الطعن ولم يخصص ، فأدخل سيبويه وكتابه ! يقول الأستاذ عرفة : «ولقد تمثلت هؤلاء النحاة وهم فى أجداثهم يهضمون هذا الهضم بعد أن ملأوا الدنيا علما ، ويخاف عليهم هذا الحيف وقد خرست ألسنتهم الناطقة ، وإذ قد آلوا إلى ما آلوا إليه ، فقد صار حتماً على أبنائهم أن يردوا عنهم هذه التهم كما هو الواجب الانسانى ، وواجب الأساتذة على أبنائهم الذين هذبوا عقولهم ، ثم واجب اللغة العربية وواجب العلم فى نفسه ، وأخيراً واجب التلاميذ على أساتذتهم »

و « الفكرة » فى كتاب الأستاذ عرفة هى مجاوبة للفكرة فى كتاب « إحياء النحو » ، فهو يرى أن النحو العربى فى حاجة إلى تبسيط قواعده وعرضه بطريقة تقربه من طبيعة المتكلمين وتكشف عن سر العربية ، ولكن على نمط قويم لا على ذلك النمط الذى انتهجه صاحب « إحياء النحو » فحاد به عن السداد ، ولو ثبت لكان خطراً على اللغة العربية ، وعلى فهم كتاب الله وسنة رسوله

ولقد أعجبنى الأستاذ عرفة فى ثبات جنانه فما اشتط فى الخصومة ، ولا جمح به القلم ، فإذا هو مع خصمه من أول الكتاب إلى آخره على ما تقضى به كرامة العلم والخلق الحميد ، عف الأسلوب ، مهذب العبارة ، نزيه الغرض ، صريح فى الحق ، لا يخاتل صاحبه ولا يموه على قارئه ؛ إن قسا فبالحجة ، وإن

احتكم فإلى النصوص المدونة والنقول الثابتة ، وإلى العلم والمنطق

تلك هي معركة اليوم بين الجامعتين ، وذلك هو مداها : أستاذ يهاجم وأستاذ يدافع الرأي بالرأي ، والحجة بالحجة ، و« الكتاب » « بالكتاب » ، وما نريد أن نزيد مدى المعركة على هذا الحد ، ولا أن يخرج عن هذا الاعتبار ، ولا نحب أن تتجاوز الأستاذين إلى غيرهما حتى ينتهيا إلى آخر الشوط ، ويصلا إلى نتيجة ترضي الحق والعلم

أما الآن فالكلمة نحب أن نسمعها من صاحب « إحياء النحو » فهو أولى الناس بالذود عن حوضه ، وخير من ينافح عن فكرته ، خصوصاً وأنه يريد أن يعمم هذه الفكرة في وزارة المعارف وأن يقحمها في مناهج التعليم ؛ وقيل إنه قابل الوزير لذلك الغرض فشجعه الوزير ووعده الخير . فليتقدم الأستاذ مدافعاً عن نفسه أو مسلماً لخصمه ؛ وعلى أي حال سواء أمكنه أن ينهض بفكرته وأن يرفع لواءها سليماً من الطعن ، أو نكص بها مردوداً من قريبه ومنازله ، فإنه مشكور له أجر المجتهد أخطأ أم أصاب ، وحبذا التناضل والنضول في سبيل الحقيقة العلمية خالصة لله منزهة عن الأغراض

محمد فهمي عبد اللطيف

رئيس التحرير وقصص أخرى

(مجموعة أقاصيص أصدرها الأديب صلاح الدين ذهني)

للأستاذ زكي طليمات

القصة المصرية تسير بل تركض ...

فقد أطلت برأسها علينا في (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي تخفي وجهها بخمار عربي من وشي أنامل تذكرنا بنسيجها الأول في (مقامات الحريري) و (بديع الزمان) ، إلى أن أسفرت عن وجهها مصرية من غير نقاب في (زينب) لهيكل ، إلى أن صلب عودها واستفاضت بشرتها بحمرة مياه النيل في قصص محمود تيمور ، وقبل ذلك في أقاصيص شقيقه محمد ، إلى مالم تدخره حافظتي من أسماء قصاصين من أدباء مصر والشرق العربي أبوا إلا أن يناصروا بأقلامهم في معالجة هذا اللون الجديد من الأدب العربي ، منذ ذلك الحين والقصة المصرية تواليا بنتاج لا ينقطع ، وكأنها تأبى إلا أن تكون شغل الأدب والنقد في هذه الأيام

القصة المصرية صبية جامحة تياهة مزهوة فهي لا تعرف فضيلة التواضع ، تتحدث بصوت جهير كلما ملكتها شهوة الكلام ، ولا تدري فضل التفكير والمراجعة وأثر التحري والاستجمام في إتيان الوثبة الواسعة ؛ وما هذا بالأمر المستغرب لأنه يرجع إلى طبيعة الشيء . وكأني بالأديب المصري اليوم ، وقد استشعر ماهية شخصيته بتأثير النضال الاستقلالي وبعوامل النزاع القوي وبما يعمر رأسه من أصداء الأدب الغربي وفي مقدمتها القصة . كأني به أصبح لا يرتاح إلى الإفصاح عن خلجات نفسه والشكاية من عصره إلا عن طريق التدخل في أديم شخصيات يبتدعها خياله بعد أن ينتزع معينها من البيئة التي يعيش فيها ، فيسجل ببراعة دقائق هذه الشخصيات في سرد قصصي يطريه الحوار وتغلفه أجواء تفيض بالصبغة المصرية المحلية ، وتتمشى فيها أعراق من الإنسانية العامة . وأغلب الظن أن القصة المصرية أصبحت المجال الذي يعمل فيه الأديب المصري اليوم لاستخلاص (المصرية) ولاستكمال مقومات أدب حديث ؛ وهي مظهر من مظاهر تحررنا من أساليب الأدب العربي القديم بعد أن غمرتنا أمواج ثقافة غربية جديدة ، وطالعتنا أحداث الزمن بما جعلنا ننفر إلى الجهاد في سبيل حياة مستقلة

ومهما حاول النقد مخلصاً أن ينال من القصة المصرية بإخراج أكثر نتاجها من دائرة الفن الرفيع فلن يستلبها بهاء الشباب وروعة الفتوة . وإذا لم نجد فيها — وأعني أكثريتها — عمق التفكير وجزالة الطبع القوي وصدق التحليل النفسي الذي يحس به ولا يلمس ، وطرافة المعالجة ، فحسبنا أنفاس عطرة دافئة تهب علينا من بين سطورها ، هي أنفاس مؤلفيها ، وهم أدباء يحاولون أن يدخلوا لوناً جديداً على الأدب العربي وأن ينشئوا أدباً قومياً

أكتب هذا وأمامي مجموعة أصدرها الأديب الشاب (صلاح الدين ذهني) باسم (رئيس التحرير وقصص أخرى) ، وهي مجموعة تقف بجدارة إلى جانب أحسن ما أخرجته أقلام القصاصين الحديثين من المصريين . ولعل أبين ما تمتاز به أنها

جاءت فى أسلوب يتسامى بجزالته عن مثيله فيما قرأت من قصص الناشئين من القصاصين

إلا أن الجزالة فى اللفظ والفصاحة ليست كل شيء فى الأسلوب، وهو من مبانى القصة قوالبها وأداة معالجتها. والحكم على طرافة القصة ومنزلتها من الأدب الرفيع لا يكون العمدة فيه موضوعها، بل أسلوب معالجة هذا الموضوع. وما ترك الأول للآخر فكرة أو موضوعاً لم يعالجه أو يشر إليه؛ فقد يحدث أن يعالج الموضوع الواحد عدد كبير من الكتاب، ولكن التفوق والخلود لا يكتبان إلا لواحد منهم، وهو من يكون قد حذق معالجة هذا الموضوع وبرع فيه

والمعالجة الطريفة لموضوع القصة تكون فى حبكتها الشيقة وإنزالها فى القالب الذى تخرج منه منسقة الحوادث من غير عنت، متينة البناء فى غير افتعال، متزنة محكمة الأسلوب، تومىء وتفصح، وتقطر وتفيض. وحظ القصص التى بين يدي مما ذكرت غير متجانس، فبعضها يأخذ سمت المعالجة الطريفة فى خطو وئيد، والبعض الآخر يتعثر فى نواح من نواحيه، إلا أنها عثرات سرعان ما تقال. ويبدو هذا فى القصة الأولى من المجموعة وعنوانها (حسنة)، فى حين أن قصة (رئيس التحرير) تعد أنموذجاً لحذق كاتبها من حيث معالجة الموضوع وخصب البيان. وحسبنا من المؤلف أن يصيب مرة ويخطىء مرات، وهو فى الحالتين لا يألو جهداً فى أن ينزع نحو الكمال الفنى المنشود

و (رئيس التحرير) قصة فكهة (كاريكاتورية) الأشخاص والأسلوب. وأبين ما تبين عنه هذه القصة نزعة ساخرة يفيض بها قلم كاتبها، وهى نزعة يخالطها الأسى وتمازجها الشكاية فى قصة (مذكرات فنان) حيث نرى المؤلف متبرماً بمجتمعه متململاً بما شاع فيه من التطاول والادعاء؛ ينقد عن ملاحظة دقيقة أوضاعه المقلوبة، مما يدل على أن (صلاح الدين) على حس مرهف وعين بصيرة بحقائق الأشياء وتفاريق الألوان فى مجتمعه، فهو يرى ويشعر ويحيا ويتألم ويسخر ويصخب، وشأنه فى هذا شأن صفوة الشباب المهذب فى هذا الجيل، ولعل هذه القصة أحسن ما تكشف عن نفسية المؤلف

وللريف فى هذه المجموعة من القصص شأن يذكر، وأحسن ما جاء فى قصصه تلك الصبغة الريفية التى تطالع القارئ فيحس بريح القرية ملء أنفه وبهدوئها يشمل أعصابه

وللمؤلف جولات أخرى فى موضوعات الحياة التى تتصل ببيئته، فهو تارة تراه متدخلاً فى زوايا البيوت، وأخرى متغلغلاً فى طوايا السرائر؛ وهو فى معالجة هذه الموضوعات يركض ويتباطأ، ويهبط ويصعد، ويستقيم ويلتوى؛ ولكنه يريد دائماً أن يذهب بعيداً ليستقر فى آفاق طريفة من التأمل والتفكير، وهو فيما يريد أن يذهب إليه يصيب مرة ويخيب أخرى، وهو فى خيبته غير مهزوم

زكى طليمات



ساعة التنفيذ

إنتاج استوديو وهبي

على ستار «كوزمو»

ممثلو وممثلات الفلم

أمينة رزق — لطفية نظمى — زوزو نبيل — زينات صدقى — ليلى سلطان — لطفية أمين — يوسف وهبي — عبد القادر المسيرى — عبد العزيز أحمد — حسين صدقى عبد المجيد شكري — أبو العلا على — لطفى الحكيم — توفيق صادق — محمد ابراهيم — محمود الليجى

ملخص الرواية

عاد رؤوف سامي (يوسف وهبي) من أوربا بعد أن أصبح طبيباً فوجد خطيبته سامية (أمينة رزق) زوجة لفؤاد بك راجي التاجر الثرى مع أنها لا تزال تكن له الحب فتتوثق العلاقة من جديد بين رؤوف وسامية ...

وقد نتج من هذه العلاقة طفل لرؤوف من سامية ولكنه شرعاً يعتبر ابناً لفؤاد بك ... تعرف الدكتور رؤوف بفؤاد بك فأكرمه وأحله محل الأخ ، فأخذ ضمير رؤوف يؤنبه ، وأراد أن يقطع علاقته بسامية ؛ غير أن الظروف جعلت فؤاد بك يعرف تلك العلاقة الأثيمة . وفاجأ ذات مرة زوجته بين يدى صديقه ، فلم تتحمل الزوجة الصدمة وألقت بنفسها من النافذة تاركة الزوج والخليل والابن (إحسان) ، وحين كانت تلفظ النفس الأخير باحت لزوجها بسر مولد إحسان ، وطلبت إليه أن يحتفظ بالطفل الذى كان محبوباً من الجميع

توارى رؤوف غير أن توبيخ ضميره طارده وأفقده مركزه الأدبى والمادى ، وقد أراد أن يكفر عن ذنوبه فاصطدم بحوادث عديدة صيرته بين كبار المجرمين ، وقد جعل رؤوف حياته وقفاً على خدمة ولده الذى لا يعرفه ، فكان يحميه عن بعد دون أن يعرف سر أبيه ...

وحدث أن أراد أحد الخدم أن يفشى سر مولد إحسان وقد تقدم للانتخابات لمجلس النواب خدمة لخصمه ، فقتله رؤوف وقبض عليه وسيق إلى المحاكمة وإذا بالمحقق هو ولده إحسان وكيل النيابة ... قدم رءوف للمحاكمة وكان إحسان فى ذلك الوقت قد اعتزل الوظيفة ، وأصبح محامياً وعضواً بمجلس النواب ... وفى جلسة محكمة الجنايات فوجىء رؤوف بابنه إحسان وقد دفعه دافع خفى للدفاع عن أبيه دون أن يعرف الحقيقة ... وطلب منه أمام القضاة أن يعترف بأسباب الجريمة فهو يشعر أن المجرم قد اقترف القتل لسبب نبيل .. فما كان من الوالد إلا أن سخر بدفاعه ووقف يؤكد للمحكمة أنه مجرم وقاتل وعريق فى الاجرام ... وبينما كان حكم الاعدام ينفذ في الوالد .. كان الولد يهنأ بعروسه فى شهر العسل

يوسف وهبي

ويقوم الأستاذ يوسف وهبي فى هذا الفلم بأدوار ثلاثة ، فهو المؤلف والمخرج وممثل البطل ... وهو فى ذلك يشبه الممثل الكبير شارلى شابلن الذى يؤلف ويخرج ويمثل أفلامه القوية الناجحة ، ونحن نهنئ الأستاذ يوسف وهبي على هذا المجهود الكبير

ونؤجل نشر نقدنا الفنى لهذا الفلم إلى الأسبوع المقبل

السيدة منيرة المهدية

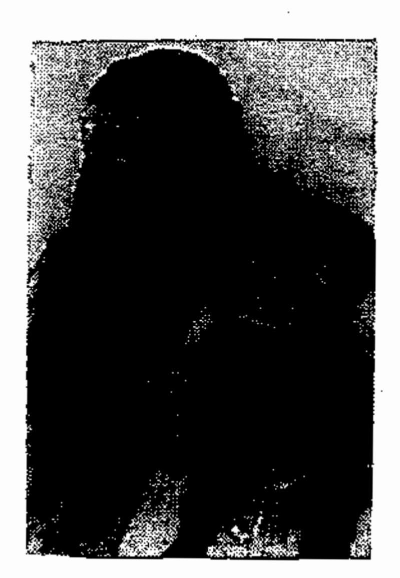
تعود إلى المسرح

وأخيراً عادت السيدة منيرة المهدية إلى الظهور بعد احتجابها الطويل فى المسرحية الجديدة «الاوبريت» (الأميرة روشنارا الهندية) وهي من تأليف الكاتب المعروف الأستاذ بديع خيرى وتلحين الأستاذ زكريا أحمد. وسنتناول فى الأسبوع المقبل نقد هذا الفلم من جهاته الفنية

الأميرة كوكا

بطلة فلم (تاجر الملح)

ابتداء من اليوم تقدم سينما رويال بالقاهرة فلم (جريكو) أو (تاجر الملح) الذى أخذت أكثر مناظره فى مصر وبين ظهرانينا



كوكا وبول روبسون

وبطل الفلم رجل أسود له شهرة فى عالمى التمثيل والغناء تضارع شهرة أقوى ممثل أومغن من الجنس الأبيض، إن لم تفقه . وقد سبق أن رآه جمهورنا ناجحاً قوياً فى عدة أفلام على ستار أكثر دور السينما فى مصر ... واسم هـذا الزنجى الشهير بول روبسون

أما بطلة (تاجر الملح) فهى فتاة مصرية اسمها الحقيق ناجية ابراهيم، ولقبها الانكليز فى جرائدهم بالأميرة (كوكا) فأصبحت تعرف بهـذا اللقب . وهى فتاة برنزية اللون ذات عينين خلابتين وجسم معتدل مما ساعدها على ارتقاء سلم النجاح فى عالم السينما بسهولة وسرعة

وقد اضطرت ناجية ابراهيم إلى السفر مرتين إلى بلاد الانكليز لإتمام إخراج هذا الفلم العظيم ... وهناك فى إنجلترا تعلمت كوكا رقصـــة الكلاكيت التى أصبحت تتقنها .. غير أن هذه الرقصـة قد كلفتها كثيراً ، فإنها ما زالت حتى الآن تعانى الأمرين من آلام ظهرها

وسنرى أى نجاح تصيب هذه النجمة المصرية الجديدة .. !

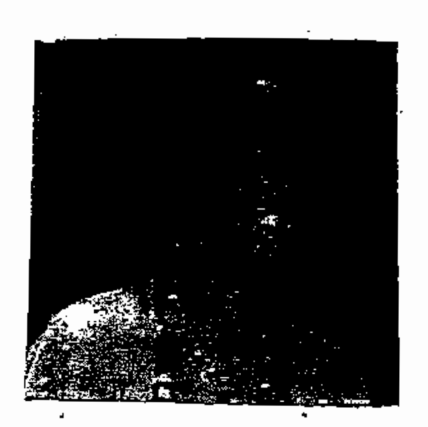
بدرية رأفت

بطلة الفلم المصرى الجديد:

نفوس حائرة

تعرض سينما الكوزمو فى هـــذه الأيام إشارة إلى فلم مصري جديد ستظهر على ستارها عما قريب ذلك هـذا الفلم هو (نفوس حائرة)

وأما أبطاله فهم بدر لاما ، وبدرية رأفت ، وعبد السلام النابلسى ، وسميحة



بدرية رأفت

فهمى ، وفؤاد المصرى الخ ...

والمخرج هو الأستاذ ابراهيم لاما المخرج المعروف، وقد أخرج لنا بضعة أفلام مصرية ناجحة

فؤاد زمكحل



النجمان المعروفان إريك ليندن وسيسيليا باركر
كما يبدوان فى منظر من « ربيع الغرام »
الرواية القوية التى تعرضها سينما ريجال بالقاهرة ابتداء من اليوم (الاثنين ٧ مارس)

وزارة الصحة العمومية

تقبل عطاءات بمكتب حضرة مدير مخازنها لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ١١ أبريل سنة ١٩٣٨ عن توريد :

١ — الزجاج والقطرميزات وأوراق الساحيق وأنابيب الكاوتشوك والفلين وأسطوانات الأكسوجين الخ ...

٢ — الميكروسكوبات ولوازمها

ولغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ٩ مايو سنة ١٩٣٨ عن توريد القطن والغيارات والماكينتوش الخ ... اللازمة للوزارة لعام ٣٨ / ٣٩ — والعطاءات يجب أن تكتب على استمارة خاصة تطلب من إدارة مخازن الصحة العمومية بالقاهرة ومن القنصليات الملكية في الخارج ماعدا انجلترا حيث يمكن الحصول عليها من المكتب الهندسي للحكومة المصرية بلندن مقابل دفع ٥٠ مليما عن كل من مناقصتي الميكروسكوبات والقطن والغيارات ، و ١٠٠ مليم عن كل قائمة من مناقصة الزجاج — ويمكن الاطلاع عليها بمراكز الغرف التجارية بالقطر المصري

وكل عطاء غير مصحوب بتأمين ابتدائي ٢ ٪ من قيمته لاينظر فيه ويجب أن يوقع على شروط التوريد والقائمة من مقدم العطاء

٢ — ٢ ٣٦٠١

إدارة البلديات العامة

طرق

تقبل العطاءات بادارة البلديات العامة لغاية ظهر ١٩ مارس ١٩٣٨ عن توريد وتركيب طرونيات وتوريد حجر دبش وزلط ورمل لمجلس قنا المحلي وتطلب الشروط من الادارة نظير ٢٠٠ مليم

٢ — ٢ ٣٥٩١

إدارة البلديات العامة

قسم الكهرباء

تقبل العطاءات بادارة البلديات بمصر حتى ظهر يوم ١٤ ابريل سنة ١٩٣٨ عن توريد فحم غاز الاستصباح لعملية الانارة بالغاز ببورسعيد . وتطلب الشروط من الادارة نظير مائتي مليم

١ — ٢ ٣٦٢٧

وزارة الزراعة

تقبل العطاءات بادارة المخازن والمشتريات والورش بالدقي لغاية الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٣٨ عن توريد أدوات خيام لأعمال دودة القطن لعام ١٩٣٧ / ١٩٣٨ ويمكن الحصول على الشروط والمواصفات من الادارة المذكورة يومياً ما عدا العطلات الرسمية مقابل دفع مبلغ ٣٠ مليما

٣٥٩٠

محكمة السنطه الأهلية

إعلان بيع

في القضية المدنية ن ١٩٨٥ سنة ١٩٣٦ إنه في يوم الثلاثاء ٥ ابريل سنة ٩٣٨ الساعة ٨ أفرنكي صباحا بسراي المحكمة سيباع بالمزاد العلني الأطيان الآتي بيانها بعد الملوكة إلى الست زنوبه وحسين أولاد المرحوم محمد احمد كله والست زنوبه ابراهيم كله القيمين بمصر بشارع الطباخ ن ١١ بالعباسية بمنزل محمد افندي فؤاد تبع قسم الوايلي وهذا بيان الأطيان

١٣ س ٥ ط أطيان كائنة بزمام شبرابلوله السمنودية مركزالسنطه بحوض رزيق بالقطعة ضمن ١٧ يحد بحري بسيوني بك الخطيب وأخواته والشرقي ترعة عمومية والقبلي ورثة حنا بك رزق والغربي سكة زراعية عمومية

١٣س و٥ط خمسة قراريط وثلاثة عشر سهماً لا غير

وهذا البيع بناء على طلب الست زينب احمد نيازي القيمة بمصر بالعباسية وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٤ اكتوبر سنة ١٩٣٧ المسجل بمحكمة طنطا الأهلية في ٢٦ اكتوبر سنة ٩٣٧ن٩٠٦٠ سنة ٩٣٧

وهذا البيع وبناء لمبلغ ٢٠ج خلاف المصاريف وما يستجد منها بثمن أساسي قدره ١٦ ج خلاف المصاريف وشروط البيع وجميع الأوراق مودعة بملف القضية بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها فعلى من له رغبة في الشراء الحضور في الزمان والمكان المحددين أعلاه للمزايدة

قانوناً كاتب البيوع

في يوم ٢٠ مارس سنة ١٩٣٨ الساعة ٨ صباحاً والأيام التالية بناحية العقال القبلي مركز البداري إذا دعت الحالة سيباع علناً المواشي الموضحة بالمحضر ملك سيد محمد مكي من الناحية نفاذاً للحكم نمرة ٨٤٧ سنة ١٩٣٧ مدني البداري وفاء لمبلغ ٨٤٢ قرش صاغ وذلك بخلاف أجرة النشر كطلب مهني فرغلي من الناحية فعلى راغب الشراء الحضور

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي رقم ٧